البعث
الأسبوعية
مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر ٣٢ صفحة
الأربعاء ٢ كانون الأول ٢٠٢٠ العدد ١٥

عودة الأمن الغذائي.. "عام القمح"



تأهيل ثلاثة محركات ضخ في مسكنة لإدخال ١٨ ألف هكتار بالخدمة

مجلس الوزراء: تأمين مستلزمات موسم القمح وتشجيع زراعة الحيازات الصغيرة



«البعث الأسبوعية» ـ سانا

أكد مجلس الوزراء، خلال جلسته الأسبوعية الثلاثاء برئاسة المهندس حسين عرنوس رئيس المجلس، على الاستمرار ببذل كل الجهود لتأمين كميات السماد اللازمة لزراعة موسم القمح، وإعطائه الأولوية لجهة توفير المحروقات ووضع الجرارات التابعة للجهات العامة في خدمة الفلاحين وتشجيع زراعة الحيازات الصغيرة بالقمح.

واستمع المجلس لشرح تفصيلي عن واقع زراعة محصول القمح لموسم ٢٠٢٠-٢٠٢١ في مختلف المحافظات ونسب التنفيذ حتى الآن والاحتياجات المطلوبة والتتبع المستمر للمعوقات التي تعترض الفلاحين والعمل على معالجتها.

ووافق مجلس الوزراء على تنفيذ مشروع إعادة تأهيل ثلاثة محركات رئيسية ومحرك مساعد مع ملحقاته في محطة الضخ المشتركة بمشروع ري منشأة الأسد في مسكنة بمحافظة حلب علماً أن كل محرك يسهم بإدخال ٦ آلاف هكتار بالخدمة.

وكلف المجلس وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك زيادة عدد منافذ البيع في الأفران وإعادة تفعيل مراكز البيع للمعتمدين بما يسهم في تخفيف الازدحام والاستمرار بالإجراءات المتخذة لتحسين نوعية رغيف الخبز ورفد المخابز بمخصصاتها من الطحين بشكل منتظم ودون تأخير.

وشدد مجلس الوزراء على تحقيق عدالة التوزيع في الكهرباء وتطبيق أشد العقوبات بحق المتلاعبين ببرامج التقنين والعمل لزيادة مصادر الغاز المغذي لمحطات التوليد الكهربائية وإدخال آبار جديدة بما يحسن من أداء عمل الشبكة الكهربائية وكلف الجهات المعنية إعداد مذكرة تتضمن التكاليف الحقيقية للمشتقات النفطية والكهرباء والمياه للحد من الهدر ووضع آليات توفيرها للمواطنين بالشكل الأمثل كذلك إجراء تقييم لواقع معامل الإسمنت وكميات الإنتاج وتكاليفها وآليات التوزيع والاستلام ليصار إلى وضع ضوابط استثمار الإنتاج بالشكل الأمثل وتصدير الفائض إلى الأسواق المجاورة.

وأكد رئيس مجلس الوزراء على تعزيز العمل المشترك بين مختلف الوزارات وتكثيف الجهود لمعالجة الملفات المتعلقة بتحسين الواقع المعيشي والخدمي للمواطنين، مشدداً على تطبيق القرارات والإجراءات المتخذة للتصدي لوباء كورونا في مختلف الوزارات والمؤسسات والأماكن العامة ووسائط النقل وتكثيف عمليات التعقيم في المدارس واتخاذ ما يلزم لضمان سلامة الطلاب والكادر التدريسي.

إلى ذلك قرر المجلس منح المؤسسة العامة للدواجن سلفة لصالح منشأة دواجن حلب لتأمين مستلزمات الإنتاج، ومنح الشركة العامة للمشاريع المائية سلفة لتسديد رواتب العاملين في فرع الحسكة عن النصف الثاني من العام الجاري، ووافق على تسليم العاملين في الجهات العامة بمحافظة الرقة رواتبهم ضمن الريف المحرر بما يسهم في تعزيز تواجد الأهالي في المناطق المحررة من الإرهاب كما وافق على استكمال أعمال ترميم الكورنيش البحري لمدينة بانياس ومشروع مركز خدمة المواطن في القريا بمحافظة السويداء.

وتم تكليف هيئة التخطيط والتعاون الدولي تقديم دراسة شاملة عن البنية التحتية للجودة والتشريعات الناظمة لها والإجراءات الواجب اتخاذها لإيجاد البيئة الملائمة لها بما يسهم في رفع أداء المؤسسات وتحسين جودة المنتجات الوطنية.

زراعة ٥٤ ٪ مروية و ١٨ ٪ بعل بمحصول القمح

وفي تصريح للصحفيين عقب الجلسة قال وزير الزراعة والإصلاح الزراعي المهندس محمد حسان قطنا: إن المجلس استعرض الخطة المقررة لزراعة محصول القمح مشيراً إلى أن مجموع المساحات المزروعة حتى اليوم بلغ نحو ٥٤ بالمئة من المساحات المروية ونحو ١٨ بالمئة من مساحات البعل، لافتاً إلى أن خطة زراعة القمح تسير بشكل جيد وهناك إجراءات متكاملة لتأمين الأسمدة وتم توفير البذار ونحن نشجع الفلاحين على زراعة كامل المساحات المتاحة لزراعة القمح، وخاصة الحيازات الصغيرة.

منتصف العام القادم..
الإطار الوطني للتخطيط الإقليمي إلى النور

وقبل يومين، استعرض المجلس الأعلى للتخطيط الإقليمي، خلال اجتماعه برئاسة المهندس عرنوس، المراحل المنجزة في البرنامج التنفيذي لوثيقة التوجهات والمنطلقات الأساسية للإطار الوطني للتخطيط الإقليمي.

وأكد المجتمعون على إنجاز هذا الإطار نهاية الشهر السادس من العام القادم وفق البرنامج المحدد والذي يركز على أبرز محددات التنمية الوطنية ومراكزها ومحاورها ومناطق التجمعات العمرانية الكبرى والحماية البيئية والسياحية ومناطق حماية التراث الحضاري ومحاور الثروات المعدنية.

وأوضح المجتمعون أهمية الخارطة الوطنية للسكن والإسكان كونها تسهم في تحديد الاحتياجات الفعلية اللازمة لإعادة التعافي والنهوض بقطاع السكن وتوجيه النمو العمراني بعيداً عن الأراضي الزراعية.

وأكد المهندس عرنوس ضرورة إنجاز الدراسات الإقليمية وفق البرامج الزمنية الموضوعة وبالأخص مشروع الإطار الوطني للتخطيط الإقليمي لتأمين استدامة الموارد والفرص التي من شأنها تعزيز التنمية الوطنية والتنسيق والتعاون بين كل الجهات المعنية لإنجاز المشروع وإنشاء فرق عمل تخصصية على مستوى المحافظات وكذلك إعداد رؤية مستقبلية تستوعب التوسع الجغرافي والقطاعي للمناطق الصناعية لتلبية متطلبات النشاط الصناعي الذي يعد النهوض به إلى جانب القطاع الزراعي أولوية للعمل الحكومي لتعزيز الاقتصاد الوطني والأمن الغذائي.

وفي هذا السياق تم التأكيد على الوزارات المعنية التنسيق مع هيئة التخطيط الإقليمي لاستكمال أعمال خارطة النشاط الصناعي واختيار المواقع الصالحة مكانياً لهذا النشاط وتقييم واقع المدن الصناعية القائمة واستكمال العمل على إنجاز الخارطة الاستثمارية.

واطلع المجلس على مراحل إنجاز مشروع التخطيط الإقليمي للساحل الذي يهدف إلى حماية الغابات والمناطق البيئية والطبيعية وتحقيق تنمية زراعية حديثة وصناعات غذائية منافسة وتطوير العمل السياحي استناداً إلى عناصر الجذب السياحي والموارد البشرية.

وفي تصريح عقب الاجتماع أوضح وزير الأشغال العامة والإسكان المهندس سهيل عبد اللطيف أنه تم طرح المواضيع الأساسية التي تقوم بها هيئة التخطيط الإقليمي والبرنامج الزمني للوصول إلى الإطار الوطني للتخطيط الإقليمي وكل البرامج التي تم عرضها هي برامج تفصيلية تصب في هذا الإطار. ولفت الى أن من أهم مخرجات الاجتماع أن تكون قرارات الهيئة المدروسة من قبلها ومن قبل الخبراء في الجامعات والمعهد العالي للتخطيط الإقليمي ووزارة الأشغال العامة والإسكان ملزمة لجميع الجهات وألا يقوم أي مشروع تنموي في أي منطقة إلا بموافقة الهيئة.

من جهتها الدكتورة ريما حداد رئيسة هيئة التخطيط الإقليمي قالت إن الاجتماع ركز على مدى تقدم إنجاز الأعمال في خمسة مشاريع تشرف على دراستها الهيئة ثلاثة منها تم إنجازها بالكامل مشيرة إلى أن الهيئة بصدد عقد ورشات عمل لاعتماد هذه المشاريع بينما لا يزال العمل مستمراً على المشروعين الآخرين.

كلمة البعث

مدى الجدية في المسار السياسي (جنيف 4)

د. عبد اللطيف عمران

التزاماً من حكومة الجمهورية العربية السورية بالمسار السياسي لحلّ الأزمة، ولمواجهة الحرب على سورية، بدأت أول أمس في جنيف الجولة الرابعة من اجتماعات لجنة مناقشة الدستور وسط شكوك في عدم جديّة الأطراف المتكئة على الثلاثي: العثماني الجديد- الرجعي العربي- الصهيوأمريكي، والتي من الطبيعي أن يُصعب عليها مع هكذا اتكاء مناقشة قضايا وطنية بحتة كالهوية والسيادة.

فقد ركّز الوفد الوطني خلال الجلسة الأولى في هذه الاجتماعات -من بعض ما سيؤكّد عليه- على ضرورة اعتماد موضوع عودة اللاجئين كمبدأ وطني (جامع)، نظراً إلى أهميته على الصعيد الوطني، والإنساني، والسياسي أيضاً، مشيراً إلى مخاطر تسييس هذا الملف واستثماره كابتزاز سياسي واقتصادي لعرقلة الحلّ السياسي للأزمة من بعض الدول التي تضع حججاً وشروطاً عديدة لعرقلة عودة اللاجئين على أساس من التخويف والترهيب لإقناعهم بعدم العودة.

ومن الواضح تماماً أن هذه الشروط والحجج تتناقض مع الدستور والقوانين لخلطها الحابل بالنابل، وهي تصبّ في سياق إعادة إنتاج الإرهاب وليس في سياق العودة الآمنة، كما أنها ليست بنت اليوم، بل هي تأتي في سياق مستمر منذ بداية الحرب على سورية إلى اليوم، فلطالما تنكّرت تلك الدول لمستلزمات الحلّ السياسي في ملفات عديدة، مقابل قيامها بشنّ حملة تضليل إعلامي واسعة وزائفة بأن الحكومة السورية يقلقها الحلّ السياسي، في وقت يؤكد فيه مسار الأزمة أن تلك الدولة هي التي عملت وما تزال تعمل على الانحياز إلى المسار العسكري، وإلى إطالة أمد هذا المسار لإلحاق مزيد من الضرر والخراب والدمار في البنى التحتية والفوقية للشعب السوري، وبمؤسسات الدولة الوطنية.

إن القوى الدولية، والقانون الدولي، وقرارات مجلس الأمن تركّز من حيث الظاهر على الحلّ السياسي، ولاسيما قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ لعام ٢٠١٥، لكن الوقائع تؤكّد عدم جديّة هذا التركيز، بل هو مخاتل وفيه كثير من المراوغة والنفاق والابتزاز.

فالقرار ٢٢٥٤: (يؤكد من جديد التزامه القوي بسيادة الجمهورية العربية السورية واستقلالها ووحدتها وسلامتها الإقليمية، وبمقاصد ميثاق الأمم المتحدة وبمبادئه)، كما يؤكّد (كفالة استمرارية المؤسّسات الحكومية)، وفي المادة (٨) منه يعيد التأكيد على ما جاء في القرار الذي سبقه ٢٢٥٣ (عدم تجاهل التهديد العالمي الذي يشكّله تنظيما داعش والقاعدة وما يرتبط بهما من أفراد، وجماعات، ومؤسسات، وكيانات) بل يضيف عليه: (وغيرهما من الجماعات الإرهابية).

إذ لا يستطيع أي متابع عاقل وموضوعي أن يتغافل أو ينكر الدور التخريبي الذي تمارسه قوى الاحتلال والإرهاب الثلاث ضد الحلّ السياسي، وانحيازها إلى الحلّ العسكري لفرض أمر واقع على المسار السياسي وفق التالي:

١- لايزال النظام التركي كقوة احتلال وسرقة غاشمة وغير شرعية يدعم العصابات الإرهابية المسلحة في الشمال ويشترك معها في العمل العسكري مخالفاً، أو مقوّضاً لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة، ويزيد الأمر خطورة سعيه لدمج جبهة النصرة -تنظيم القاعدة كقوة سياسية في المسار التفاوضي، منسّقاً في هذا الجانب وغيره مع الاحتلالين الأمريكي، والصهيوني، فبالأمس أكّد موقع المونيتور تفاوضاً عثمانياً صهيونياً وضيع المستوى في هذا الجانب.

٢- وليس الأمر مع النظام الأمريكي -إدارة ترامب- ومع الكيان الصهيوني إلا أسوأ حالاً، خاصة مع الهجوم المتنوّع والمستمر على محور مقاومة المشروع الصهيوأمريكي، ودعم مسار الاستسلام والتطبيع مع هذا المشروع الذي تعدّ سورية تاريخياً مركز مقاومته.

٣- في هذه الظروف (الاحتلال- الابتزاز- الضغط- العقوبات) من الصعب جداً نجاح أي مسار سياسي لمواجهة الحرب على حقوق سورية، أو حقوق فلسطين. أو الحق العربي بأكمله، لذلك تعمد بعض الدول إلى إطالة الأزمة، بل الأزمات، وإلى تخريب الحلّ السياسي بالعمل العسكري، وبالحصار الاقتصادي، وبالتدخّل في بنية المجتمع الوطني والعروبي لتزييف وعيه وهويته وحقوقه.

إلا أن أعداء الشعب السوري وأعداء دولته الوطنية العروبية، قوّضوا هذا القرار، ومزّقوا أهم بنوده، ما يوضح ليس فقط عدم جديّتهم في المسار السياسي، بل تخريبه من خلال ما سبق ذكره، ومن خلال استمرار وضع العقبات والضغوط على ديمستورا، وعلى الإبراهيمي من قبله، وبيدرسون من بعده، في الوقت الذي كانت فيه الحكومة السورية قد أعلنت منذ عام ٢٠١٧ وعلى لسان الدكتور الجعفري (ورقة المبادئ الأساسية الـ ١٢ للحلّ السياسي) الهادفة إلى (بناء قواسم مشتركة للحوار السياسي بجميع اتجاهاته، وبما يشكّل امتحاناً لنوايا جميع الأطراف)، وقد كانت الورقة ولا تزال جديّة وموضوعية، والأهم وطنية، لأنها لا تشكّل امتحاناً للنوايا فقط بل للهوية وللانتماء وللسيادة.

ومع ذلك، لا نزال نحن وأصدقاؤنا وحلفاؤنا على أمل منشود بالمسار السياسي، وبالأمس أعرب السيد لافروف عن: (الأمل بأن تراجع الإدارة الأمريكية الجديدة النهج غير البنّاء تجاه الأزمة السورية).

إنها الرواية الواقعية والتاريخية الوثيقة والدقيقة التي يجب أن يعرفها السوريون جميعاً وغيرهم اليوم وغداً: إن من يتحمّل غياب الجديّة السياسية، هو من يعزّز الاحتلال والعسكرة والحصار.

اغتيال العالم النووي الإيراني محسن فخري زاده..

بومبيو يطمح للرئاسة في ٢٠٢٤ ونتنياهو يسابق الزمن لاغتيال الاتفاق النووي مع إيران



"البعث الأسبوعية" ـ تقرير العدد

في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٠، اغتيل العالم النووي الإيراني الكبير محسن فخري زاده في هجوم إرهابي معقد على الطريق السريع في أبسارد، وهي بلدة صغيرة تقع شرقي طهران. أوقف انفجار سيارته، ثم أطلقت أعيرة نارية من اتجاهين. اغتالت إسرائيل العديد من العلماء النوويين الإيرانيين في الماضي، لكنها، حتى الآن، لم تتمكن من الوصول إلى فخري زاده الذي يتمتع بحماية شديدة.

تعزز الثقوب التي أحدثتها طلقات الرصاص في سيارة فخري زاده فكرة الاعتداء الإسرائيلي، فقد استخدمت إسرائيل في الماضي عملاء من منظمة "مجاهدي خلق" - وهي جماعة إيرانية إرهابية في المنفى رفعتها وزارة الخارجية الأمريكية مؤخراً عن لائحة المنظمات الإرهابية - لتنفيذ هجمات في إيران. وكانت منظمة "مجاهدي خلق" أول جماعة نفذت عمليات انتحارية في إيران.

وليس هناك شك في هوية المسؤول عن الهجوم، فقد حُدّد فخري زاده من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، في عام ٢٠١٨، مديراً لما أسماه "مشروع الأسلحة النووية الإيرانية".

وعندما كشف نتنياهو بعد ذلك أن إسرائيل قد انتزعت من مستودع في طهران أرشيفاً كبيراً من الوثائق برنامجها النووي، قال: "تذكر هذا الاسم، فخري زاده".

تواطؤ إدارة ترامب

وفي حين أن من المستبعد تماماً أن تكون إسرائيل قد أقدمت على تنفيذ عملية الاغتيال دون الحصول على ضوء أخضر من إدارة ترامب، لا يمكن استبعاد دور الولايات المتحدة الأكثر مباشرة تماماً.

وقد أجرت إدارة ترامب عدة عمليات تخريبية مشتركة مع إسرائيل ضد المنشآت النووية الإيرانية في العام الماضي، واعتمدت جزئياً على الموساد الإسرائيلي في تنفيذ اغتيال الجنرال قاسم سليماني، خارج مطار بغداد في كانون الثاني الماضي.

وفي وقت سابق من تشرين الثاني الجاري، أثار ترامب نفسه احتمال مهاجمة إيران مع كبار مستشاريه للأمن القومي، بينما كان وزير الخارجية مايك بومبيو، أبرز صقور الإدارة في واشنطن تجاه إيران، قد التقى برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قبل أيام فقط، كما التقى قادة خليجيين يعتبرون أنفسهم خصوماً لإيران، ولا سيما المملكة السعودية والإمارات المتحدة.

جر إيران إلى الحرب

بينما يمكن اعتبار الهجوم الإرهابي على عالمها النووي الكبير عملاً حربياً، فإن من غير المرجح أن تنتقم إيران علناً لنفسها، فهي لن تلعب لعبة نتنياهو وهو يحاول تحريض الولايات المتحدة على شن هجوم على إيران. إن اغتيال محسن فخري زاده لا يستهدف برنامج ايران النووي. هدفه هو اغتيال الاتفاق النووي مع إيران قبل أن يتولى الرئيس الأمريكي المنتخب جو بايدن منصبه. فهناك توقعات بأن بايدن سوف يعود إلى الاتفاق النووي مع إيران، ومع بدء العد التنازلي قبل مغادرة ترامب للمكتب البيضاوي، سيستغل نتنياهو ذلك الوقت لشن المزيد من الاستفزازات.

وعلى أي حال، فإن شن هجمات على إيران ليس له سوى القليل من السلبيات في الوقت الحالي، إذ يمكن لإيران أن تهاجم إسرئيل وتشعل صراعاً أوسع يمتص الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى مواجهة بين الولايات المتحدة وإيران كان نتنياهو يسعى إليها منذ فترة طويلة.

أو، إذا انتظرت إيران الانتظار للتعامل مع الرئيس المنتخب جو بايدن، فمن المستبعد جداً أن تفرض إدارة ترامب أي تكاليف على الاستفزازات الإسرائيلية الأخرى.

في كلتا الحالتين، من المرجح أن يؤدي الاغتيال، وغيره من الهجمات المستقبلية المحتملة، إلى تقوية موقف إيران، وفي النهاية تعقيد محاولات فريق بايدن لإحياء الدبلوماسية. وهذا يخدم مصلحة نتنياهو ايضاً.

في الواقع، من المرجح أن يتضاءل انفتاح طهران على مفاوضات ما بعد خطة العمل الشاملة المشتركة بشأن الصواريخ وغير ذلك من القضايا، في حال انخراط إسرائيل في تجدد الاغتيالات في إيران.

وبافتراض مسؤولية إسرائيل ورضوخ إدارة ترامب - إن لم يكن تواطؤها - في استفزازات إسرائيلية إضافية، فإننا نجد أنفسنا الآن في وضع مشابه - ولكن ربما يكون أكثر خطورة خلال الشهرين المقبلين - خاصة إذا فشل بايدن وفريقه للسياسة الخارجية في إيصال رسالة مفادها أن إسرائيل سوف تتحمل التكاليف إذا استمرت في تنفيذ هجمات داخل إيران خلال الفترة الانتقالية الحالية. وعلى هذا النحو، تجد الإدارة الجديدة نفسها في أرض وعرة للغاية بانتظار تنصيب بايدن، وإذا تبين أن إسرائيل كانت وراء الاغتيال، فلا أوهام بشأن رغبة نتنياهو في جر الولايات المتحدة إلى حرب أخرى لا نهاية لها في الشرق الأوسط.

من المهم أيضاً ملاحظة أنه، من العام ٢٠٠٢ إلى العام ٢٠١٢، ضغطت إسرائيل على الولايات المتحدة لتدمير لبرنامج إيران النووي. وخلال تلك الفترة، فرضت إسرائيل على واشنطن التزام عقوبات أشد ضد طهران، وهددت مراراً بالعمل العسكري، لكن هذه الجهود فشلت مع قيام إيران ببناء قدراتها النووية بشكل منهجي وسلمي.

بعد ذلك، من عام ٢٠١٢ إلى عام ٢٠١٥، جرّبت الولايات المتحدة الدبلوماسية الواقعية، جنباً إلى جنب مع المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وروسيا والصين، وقد بلغت هذا النهج ذروته مع توقيع "خطة العمل الشاملة المشتركة"، والتي تم الترحيب بها على نطاق واسع باعتبارها الأكثر تفاوضاً على اتفاقية للانتشار النووي، والتي وافقت إيران بموجبها على كبح حاد لبرنامجها النووي.

وعلى الرغم من هذه القيود، أعلنت إسرائيل معارضتها، وضغطت - بنجاح - على إدارة ترامب لإنهاء المشاركة الأمريكية، في عام ٢٠١٨، في الاتفاقية، وفرض عقوبات جديدة كجزء من حملة "الضغط الأقصى" ضد إيران.

بومبيو و"مفاجأة أكتوبر"

منذ أيلول الماضي، ومع بقاء أقل من سبعة أسابيع على موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية، عكف الفصيل المتحالف مع وزير الخارجية مايك بومبيو داخل إدارة ترامب على تمهيد الطريق لما قيل حينها أنه "مفاجأة أكتوبر" (تشرين الأول)، وهي المواجهة التي ستُنظر إليها على أنها دفاعية وقانونية مع إيران.

فقد غرد بومبيو في ٢٧ آب، بأن فترة الثلاثين يوماً المتبقية لـ "إعادة عقوبات مجلس الأمن على إيران"، ستنتهي في ٢٠ أيلول ٢٠٢٠. وكانت التغريدة غريبة لعدة أسباب، فقد أوضح مجلس الأمن بأكمله (باستثناء جمهورية الدومينيكان) أن الولايات المتحدة لم يكن لديها صفة لبدء آلية "العودة إلى الوراء" الواردة في الاتفاق النووي الإيراني، لأن الولايات المتحدة لم تعد طرفاً في الاتفاق. تغريدة بومبيو تجاهلت تماماً حكم الغالبية العظمى من أعضاء المجلس وتظاهرت كما لو أن ساعة الـ٣٠ يوماً قد بدأت. ولكن ما كان أشد إشكالية هو أن بومبيو بدا وكأنه يشير إلى أنه يعتزم فرض عقوبات دولية غير الموجودة في "منتصف ليل يوم الـ ٢٠ من أيلول بتوقيت غرينتش"، وهو إنفاذ قد يستلزم قيام السفن الحربية الأمريكية بمهاجمة ومصادرة سفن الشحن الإيرانية في المياه الدولية - وكذلك السفن غير الإيرانية المشتبه في نقلها البضائع الإيرانية. وسيؤكد بومبيو أن هذه الإجراءات ليست قانونية فحسب، بل هي ضرورية أيضاً لدعم قرار مجلس الأمن (غير الموجود، مرة أخرى!!).

وبالطبع، سترفض الغالبية العظمى من المجتمع الدولي، وكذلك الدول الأخرى في مجلس الأمن، بقوة، فكرة أن الولايات المتحدة تتصرف نيابة عن المجلس، وستعتبر سلوك الولايات المتحدة بمثابة أعمال عدوانية غير قانونية. لكن هذا لن يكن ليوقف بومبيو، فقد استولت الولايات المتحدة بالفعل على أربع ناقلات نفط، يُزعم أنها تحمل البنزين الإيراني "من" الخليج العربي إلى كاراكاس، في عملية "قرصنة دولة" سافرة ومكشوفة.

ومع ذلك، تم الاستيلاء على هذه السفن في المحيط الأطلسي وبحر العرب، من أجل تقليل مخاطر الاشتباك العسكري، ذلك أن خطر المواجهة مع القوات البحرية الإيرانية لن يكون ضئيلاً فيما لو استهدفت إدارة ترامب السفن الإيرانية في الخليج العربي أو بالقرب من مضيق هرمز. وحتى إذا قررت الولايات المتحدة، بتوجيه من بومبيو، البقاء بعيداً عن المياه القريبة من إيران، فقد تستمر طهران في الرد على السفن الأمريكية، أو تلك التابعة لشركائها الأمنيين العرب في الخليج.

إذا ردت إيران، أو عندما ترد إيران، سيحصل بومبيو على "مفاجأة أكتوبر". وسوف ينظر إلى تصرفات إيران على أنها عمل عدواني يتطلب رداً حازماً وحاسماً، وسيقول بومبيو إن تصعيد إدارة ترامب الذي سبق الرد الإيراني كان، في النهاية، إنفاذاً لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

وعليه وفجأة، وقبل أقل من ستة أسابيع من انتخابات تشرين الثاني الحاسمة، كان بومبيو يخطط لوضع الولايات المتحدة في حرب جديدة. والحقيقة فإن أي توقيت لا يمكن أن يكون أكثر ملاءمة. وبالطبع، فالذهاب إلى الحرب خطوة سياسية محفوفة بالمخاطر، على الرغم من أن الجمهور يميل إلى الالتفاف حول ترامب في البداية، ولكن تكييف الرأي العام الأمريكي بأن إيران هي المعتدي الذي تحتاج الولايات المتحدة لـ "مقاومته" كان قد بدأ بالفعل. ولربما كان ذلك هو القصد من التسريب الغريب حول مؤامرة إيرانية مزعومة لاغتيال السفير الأمريكي في جنوب إفريقيا، رداً على اغتيال ترامب للجنرال قاسم سليماني في وقت سابق من هذا العام.

غرد ترامب عن القصة بعد ٢٤ ساعة من تسريبها إلى صحيفة "بوليتيكو" الإلكترونية، ولكن بدلاً من الإشارة إلى المخابرات الأمريكية فيما يتعلق بالمؤامرة، استشهد "بتقارير صحفية"، ما يشير إلى أنه ربما سمع عن القصة من خلال وسائل الإعلام، وليس من خلال إحاطاته الاستخبارية.

وسواء أكانت موثوقة أم لا، فإن تسريب المؤامرة المزعومة يهيئ للجمهور الأمريكي الحاجة إلى "الرد" - ويمهد الطريق لـ "مفاجأة أكتوبر".

إسرائيل تدفع مرة أخرى.. إلى الحرب

في ١٦ تشرين الثاني، بدأت حملة حرب جديدة ضد إيران. قبل يوم من ذلك، سأل الرئيس ترامب كبار مستشاريه في اجتماع بالمكتب البيضاوي عما إذا كانت هناك أي فرصة للعمل ضد الموقع النووي الإيراني الرئيسي خلال الأسابيع المقبلة.

حاول بعض المستشارين ثني الرئيس عن المضي قدماً في الضربة العسكرية، محذرين من أن الهجوم على المنشآت الإيرانية يمكن أن يتصاعد بسهولة إلى صراع أكبر في الأسابيع الأخيرة من رئاسة ترامب.

المشكلة أن بومبيو، وهو ما حدث في المحاولة لجر الولايات المتحدة إلى الحرب، يريد أيضاً الترشح للرئاسة - إن لم يكن في العام ٢٠٢٤، ففي وقت لاحق. هو يبلغ من العمر ٥٦ سنة، ويمكنه الانتظار بضع ساعات أخرى. وهو يحاول الحصول على أصوات الإنجيليين واللوبي الصهيوني من خلال استرضاء نتنياهو.

خلال زيارته الأخيرة لإسرائيل، أضاف بومبيو عقوبات جديدة، ودافع فيه عن تكتيكات "الضغط الأقصى" التي يتبعها ترامب ضد الجمهورية الإسلامية وتفاخر بالأضرار التي لحقت بالاقتصاد الإيراني: "حملة الضغط الأقصى ضد النظام الإيراني لا تزال فعالة بشكل غير عادي. واليوم يواجه الاقتصاد الإيراني أزمة عملة وأزمة دين عام، وارتفاعاً في التضخم. قبل حملة "الضغط الأقصى"، كانت إيران تصدر ما يقرب من ٢,٥ مليون برميل من النفط يومياً، وهي الآن تكافح لتصدير ربع هذا الحجم فقط".

تخريب فرص بايدن

كما هو متوقع، أدت سلسلة التصعيدات إلى وضع الولايات المتحدة وإيران على بعد دقائق من الحرب مرتين خلال أقل من عام. لكن مع ذلك، فإن الحرب التي سعى إليها كثيرون في إسرائيل والولايات المتحدة لم تتحقق بالكامل بعد. والآن، وبعد أن هزم بايدن ترامب، من المحتمل أن يرى أولئك الذين يريدون الحرب، لا سيما في إسرائيل، أن نافذة فرصتهم تغلق، فيما تنسق إسرائيل مع ترامب والمملكة السعودية والإمارات المتحدة من أجل فرض عقوبات جديدة تستهدف، مرة أخرى، على الأقل، تخريب فرص بايدن في استئناف الدبلوماسية مع إيران.

على مدار العشرين عاماً الماضية، كانت كل الشائعات حول هجمات وشيكة على إيران نتاجاً للدعاية الإسرائيلية. فإسرائيل لا تجرؤ إسرائيل على مهاجمة إيران. وإذا كانت إسرائيل وراء اغتيال فخري زاده - وهو ما يبدو مرجحاً للغاية، وإن لم يتم إثباته بعد - فهذا يوضح درجة الجرأة التي يشعر بها نتنياهو في مشروعه لتقويض الرؤساء الديموقراطيين للولايات المتحدة، وجر الولايات المتحدة إلى الحرب، مع الإفلات من العقاب.

وفي الواقع، دعت إيران حلفاءها في محور "المقاومة" إلى تجنب الاستفزازات التي قد تكون ذريعة لشن هجوم، وأن يكونوا في حالة تأهب قصوى وتجنب إثارة التوترات مع الولايات المتحدة إذ أن إدارة ترامب المنتهية ولايتها قد تعطي ذريعة لشن هجمات.

الشارع غاضب والتظاهرات متواصلة ضد «قانون الأمن الشامل»

وعنف الشرطة.. فرنسا تخطو نحو الدولة البوليسية؟!

"البعث الأسبوعية"
- هيفاء علي

شهدت فرنسا في الأيام الأخيرة مظاهرات احتجاجية في العديد من المدن على خلفية حادثة الاعتداء الذي تعرض له ميشيل زيكلير، المنتج الموسيقي من ذوي البشرة السوداء. وقد ندد المتظاهرون بالعنف الذي اتسمت به تدخلات رجال الشرطة، وذلك في سياق حساس تميز بتوتر العلاقة بين المؤسسة الأمنية وجزء من الرأي العام الفرنسي.

كما هزت مقاطع الفيديو، التي وثقت الاعتداء على زيكلير، الطبقة السياسية بمختلف توجهاتها، بما فيها الحزب الحاكم "فرنسا إلى الأمام"؛ ولم يقتصر الاعتداء على ضرب مواطن أعزل، بل يبدو أن أحد رجال الشرطة تفوه بعبارات عنصرية، ما أجبر وزير الداخلية على أن يكون صارما في رده من خلال التوقيف الفوري للعناصر الأمنية المتورطة، مع الوعد بإنهاء خدماتهم في حال ثبتت التهم الموجهة إليهم.

المشكلة أن هذه الحادثة لا تبدو معزولة، فقبلها بيوم تقريبا انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي مقاطع فيديو توثق عنف تدخل رجال الشرطة الباريسية لفض اعتصام للمهاجرين، مساء الإثنين قبل الماضي، في "ساحة الجمهورية"، وأغلبهم من جنسيات أفريقية، وقبل ذلك كانت احتجاجات السترات الصفراء قد كشفت عن حجم التجاوزات الأمنية والحقيقة، تشهد فرنسا منذ قرابة العامين نوعا من التوتر بين الشارع والمؤسسة الأمنية، خاصة في ظل غياب أي تتبع قضائي وإداري ينصف ضحايا هذه الاعتداءات.

لكن، وفي مشهد مناقض تماما لهذا الواقع، كانت الحياة البرلمانية في الأسابيع الأخيرة مشغولة بتمرير قانون مثير للجدل - "قانون "الأمن الشامل" - يحظر، في أحد بنوده، نشر مقاطع الفيديو التي تصور رجال الأمن في حالة تدخل باستعمال القوة، وهو ما أعطى انطباعا لدى المعارضة، ولدى الصحافة، ولدى الجمعيات الحقوقية، بأن الأغلبية الحاكمة متورطة بدورها في هذه التجاوزات، وهي تحميها وتمنع حرية الحصول على المعلومة. والحال، فإن أغلب التجاوزات الأخيرة لم يكن بالإمكان كشفها لولا المقاطع التي وثقها الهواة.

وهنا، يطرح السؤال نفسه حول الآليات القانونية والمؤسساتية المعتمدة للحد من هذه التجاوزات في فرنسا، التي بنت تاريخها الحديث والمعاصر على مفاهيم الحرية والحقوق والمواطنة. وهنا، ربما تكمن المشكلة الحقيقية، فهذه العملية موكلة إلى جهاز الشرطة، غير أنه من النادر أن تفضي تحقيقاتها إلى إدانة واضحة، وإلى عقوبات رادعة، ما أدى إلى تراجع مصداقيتها؛ بل أصبحت هي نفسها متهمة بالتغطية على التجاوزات، وهو أمر مفهوم بالنظر إلى تركيبتها المشكلة أساسا من رجال الشرطة. وقد تكون أولى خطوات الإصلاح في مراجعة هذه التركيبة. وعليه، فقد أوضحت "مسيرة الحريات" هذه معارضة قوية لقانون "الأمن الشامل"، وبشكل خاص معارضة عنف الشرطة، في ظل حرارة الأخبار الواردة في الأيام الأخيرة عن طرد المهاجرين من "ساحة الجمهورية"، والاعتداء على الصحفيين الذين كانوا يغطون الحدث. ولم يساعد مقطع الفيديو الذي نشره الموقع الإلكتروني **Loopsider** حول الاعتداء على زيكلير في تهدئة الأرواح الثائرة، حتى أنه تعين على ديدييه لالمان، مدير شرطة باريس، الطلب من عناصره الحفاظ على المتظاهرين والصحفيين على حد سواء، ما دفع منظمة "مراسلون بلا حدود" غير الحكومية لتقديم شكوى ضده.

ويعزو مراقبون سبب نجاح هذه التعبئة، جزئياً، إلى عمل وتنسيق حملة "أوقفوا قانون الأمن الشامل"، والتي حققت إنجازاً يتمثل في الجمع بين الشركات والتجمعات وجمعيات الصحفيين والمديرين والاتحادات النقابية ومنظمات حقوق الإنسان، وتجمعات الكفاح ضد عنف الشرطة، وأحياء الطبقة العاملة والسترات الصفراء، حتى أن الصحفيين، في جريدة "لوفيغارو"، دعوا إلى اتخاذ إجراءات قانونية صارمة ضد عنف الشرطة، كما طالب المتظاهرون باستقالة وزير الداخلية، جيرالد دارمانان، الذي وجهت إليه تهم الاغتصاب والتحرش الجنسي، وفي مقدمة هؤلاء المتظاهرين، كانت هناك عائلات ضحايا العنف الشرطي، ومجموعات المهاجرين غير الشرعيين، والمحامون الغاضبون؛ فمنذ ثمانينيات القرن الماضي، توفي أكثر من ٦٧٦ شخصاً نتيجة عنف الشرطة.

وكانت آسا تراوري، الشخصية البارزة في مكافحة عنف الشرطة، حاضرة في هذه المسيرات، حيث لفتت إلى وجود عنصرية في أجهزة الشرطة الفرنسية، مشيرة إلى أن صور ميشيل زيكلير كانت صادمة، ويجب التوقف عن لعب دور المنافقين، مضيفة: "إن العنف على هذا النحو يمارس منذ سنوات في الأحياء الفرنسية الفقيرة، وأحياناً لا يتوفر لأطفالنا الوقت لإخراج هواتفهم، لذلك يجب أن نوسع المعركة. وإذا كنا جميعاً هنا، فذلك لأننا أصبحنا جنوداً رغما عن أنفسنا". وتابعت: "نحن نناضل من أجل العدالة الاجتماعية، وإذا تعرضت العدالة للخطر، فإن كفاحنا لا معنى له، لذلك يجب حمايته. علاوة على ذلك، سيعرض- "قانون "الأمن الشامل" - أساليب عملنا للخطر. نحن نعلم أننا سوف نتحمل المزيد من المخاطر بشكل جماعي إذا تم تمرير هذا القانون".

وأثناء انطلاق المظاهرات، اندلعت بعض الاشتباكات بين سلطات إنفاذ القانون والكتلة السوداء في حي "الباستيل"، كما اندلع حريق على منصة نقالة في "بولفار بومارشيه"، وشب حريق آخر في سيارة. وسرعان ما تدخل رجال الإطفاء وسط تصفيق المتظاهرين، كما تم الهجوم على مقر بنك فرنسا ومحل لبيع الصحف، ولكن ذلك لم يمنع المتظاهرين من الوصول بالآلاف إلى ساحة التحشد الرئيسية لإنشاد الأغنية التي أطلقتها المغنية كاميليا جوردانا: "غنوا يا رفاق في الليل تصغي الحرية لأصواتنا".

لقد اصطدم القانون الجديد الذي أطلقه إيمانويل ماكرون بحقيقة الوضع في فرنسا. كانت قوته غير شرعية منذ البداية، فقد جاء إلى قصر الإليزيه بعد عملية نظمتها وظيفة العليا للدولة، بالاستناد إلى الأوليغارشية الفرنسية، وبدعم من انقلاب قضائي. هذه اللاشرعية هي خطيئته الأصلية، ولا يمكن تحقيق حكمه إلا من خلال تعسف المؤسسات، والاعتماد على الشرطة والأجهزة القضائية التي وضعت نفسها بالكامل في خدمته، خاصة في مواجهة الحركات الاجتماعية عامة، والسترات الصفراء على وجه الخصوص. ولذلك فإن هذا الحكم هو أيضاً غير شرعي بنظر الغالبية العظمى من الشعب الفرنسي. "كل هذه المؤسسات الحكومية ليست سوى أدوات بيد نزيل الإليزيه"، بحسب المحللين.

في هذا السياق، يتساءل احد الصحفيين: كم عدد ضباط الشرطة الصامدين الذين شهدوا في الشارع ضرب ميشيل زيكلير، منتج الموسيقى، وزملائه الصغار جداً، من قبل ثلاثة برابرة مسلحين مأجورين؟ ويضيف: هل حاول أي من العشرة أو العشرين، على الأقل بصوتهم، تهدئة البلطجية؟ بالتأكيد لا!! كل شخص لديه وظيفته الخاصة، بعضهم يضرب المدنيين، وآخرون "يؤمنون المنطقة"، أي سيضربون أول مدني ينزل من منزله. فكيف يمكن للفرنسيين النزول إلى الشارع في وقت أطلقت قوة ماكرون ثلاثة فصائل من كلاب "الروت وايلر" المسعورة، والمدربة على الهجوم في الشوارع والساحات؟ ويخلص إلى أنه "منذ تشرين الثاني ٢٠١٨، تشهد فرنسا كل سبت إطلاق سراح حيوانات برية متعطشة للانقضاض على لسترات الصفراء، مدربة على عض الجماجم، على تمزيق الأيدي والعينين، دون أن يطلق كلبهم إيماءة لتهدئتهم. حقيقة، يجب استنتاج أن كل رجال الشرطة في الشارع هم من فصيلة الروت وايلر".

سأترك الشرطة للأسباب نفسها..!!

على خلفية هذه الأحداث والاحتجاجات، أرسل ألكسندر لانغلوا، ضابط الشرطة، والمبلغ عن المخالفات، والسكرتير العام للرقابة على الشرطة، خطاب إنهاء خدمته إلى وزير الداخلية، جيرالد دارمانان، جاء فيها:

"أرى أنه ليس هناك مشكلة لدى الفرنسيين حيال الخضوع للقوانين التي وافقوا عليها، ولكن دور شرطتهم لم يعد حماية حرياتهم، وإنما القضاء عليهم جميعاً، أقذر الظالمين سيفعلون ذلك.

هل ما زلنا نتحدث عن قوة شرطة جمهورية؟ أم أنها بالأحرى ميليشيا في خدمة سلطتك؟".

لقد أصبحت وزارة الداخلية أقل صرامة بكثير بحق ضباط الشرطة الذين يضربون أو يشوهون أو يقتلون الأبرياء، مثل السيدة زينب رضوان، أو السيد ستيف كانيكو، أو السيد سيدريك شوفيات، بينما ضباط الشرطة الذين، على العكس من ذلك، ينددون بهذه الانتهاكات والاختلالات، يتم توبيخهم بشدة على أساس أنهم لا يبدون الولاء للتسلسلية الهرمية، أو هم يقوضون سمعة الشرطة الوطنية! منذ ذلك الحين، كانت الشرطة في خدمة رئيس الجمهورية الذي يستخدمها لقمع أي حركة اجتماعية احتجاجية، مثل السترات الصفراء، وضد الممرضات ورجال الإطفاء والأطباء والمحامين، بدلاً من السماح لهم للتعبير عن مطالبهم بطريقة خاضعة للإشراف والأمان. منذ أزمة فيروس كورونا، تم تكليف الشرطة بالرقابة الاجتماعية، ولم تعد ملزمة بقانون العقوبات. لقد تم تحويلنا عن مهماتنا الحقيقية، وهي محاكمة الجانحين والمجرمين، وضمان السلام والأمن لمواطنينا".

ويشرح الكسندر لانغلوا الحدث المسبب الذي دفعه لطلب استراحة تقليدية، قائلاً:

في ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٢٠، قدم السيد ديفيد بيروتين، الصحفي في **Loopsider**، مقطع فيديو لرجل تعرض للضرب فعلياً على يد ثلاثة ضباط شرطة اقتحموا مكان عمله دون أي إنابة قضائية. هذا الحدث المخزي، وكذلك ردود فعل الوزارة التي أعقبته، عززت اقتناعي بإنهاء مهامي. المرافعة الوحيدة التي يمكن الدفاع عنها، على الرغم من كونها خيالية لرئيس الشرطة، السيد ديدييه لالمان، فيما يتعلق بالاعتقال المذكور أعلاه، هي القول إنه "لم يكن على علم".

"نعم، أنت تكذب يا سيادة الوزير، عندما تدعي أنك تريد حماية الشرطة من خلال الحكم بالسجن لمدة عام واحد لنشر صورة ضباط شرطة يمكن التعرف عليهم، في حين أن النصوص الموجودة بشأن المضايقات والتهديدات تنص بالفعل على عقوبات أكثر من مرتين إلى خمس مرات، لكنها في الواقع لم يتم تطبيقها أبداً. هل علي أن أذكرك مرة أخرى أن السبب الأول لوفاة ضباط الشرطة المناوبين هو الانتحار؟. منذ انتخاب إيمانويل ماكرون، تم التضحية بحوالي ١٥٠ شخصاً".

يجدر التنويه إلى أن ألكسندر لانغلوا يقوم بحملة منذ عدة سنوات بصفته نقابياً من أجل نزاهة الشرطة. فخلال أزمة السترات الصفراء، ندد بالعنف الذي تعرض له هؤلاء بسبب سوء إدارة الشرطة في حفظ النظام، كما شدد على عنف الشرطة المؤسسي، وكشف عن "تزوير شخصيات جانحة"، واعتداء جنسي على طبيب شرطة.

في ٣ تموز ٢٠١٩، تم إيقافه عن مهامه كجندي حفظ سلام لمدة عام، منها ستة أشهر مع وقف التنفيذ. هذا على الرغم من تقييمه الاحترافي الرفيع. دعمه الفرنسيون، بشكل خاص، عقب كلمته هذه فهل يعتبر خطاب إنهاء الخدمة الذي أرسله ألكسندر لانغلوا علامة على أن الشرطة لم تعد في خدمة سيادة القانون؟ وهل ما يصفه ألكسندر لانغلوا خطوة أخرى في اتجاه نظام جديد: دولة بوليسية؟

أربعائيات

ملك في بيروت.. منبوذ في باريس

د. مهدي دخل الله

إنه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون.

طالما أثارتني مقولة: « المقاومة أقل تكلفة من التبعية ». هي مقولة من الصعب إثباتها لولا أن الدول العربية تقدم الدليل تلو الدليل على أنها مقولة صحيحة تماماً.

المشكلة ليست في التبعية وحدها، وإنما في افتخار البعض بتبعيتهم، سواء في إطار التطبيع المجاني المذل مع إسرائيل، أو في السماح للطائرات الإسرائيلية بعبور الأجواء العربية، وفي عزف النشيد الاسرائيلي - الذي ينص على قتل العرب - في ستاد رياضي خليجي.

لكن هناك أدلة أخرى على « فضائح » التبعية. فقبل أشهر قرر بعض التجار الأردنيين تنظيم عمل تجاري مع أقاربهم السوريين في محافظة درعا. جن جنون السفارة الأمريكية في عمان حيث قام ملحق في السفارة بدعوتهم ليهينهم ويمنعهم من التجارة مع أولاد عمومتهم بعد الخط الشمالي من حدود الأردن. إنه ليس مجرد انتهاك فظ لسيادة الأردن. هو انتهاك وحشي لشخصية المواطن الأردني ومشاعره وحقوقه كإنسان.

هل يرضى سوري واحد بأن يحصل هذا في بلده؟؟.

أما الرئيس ماكرون الذي تمختر في شوارع بيروت وكأنه السلطان الأكبر، فقد تخطى كل ما هو معقول حتى في الفلسفات الاستعمارية ومنطق الهيمنة والتسلط. أتحدى هذا الرئيس بأن ينزل إلى الشانزليزيه، أو أي شارع من شوارع عاصمة بلاده، باريس، ويتمختر فيها كما فعل في شوارع مدينة العرب المحبوبة بيروت.

لولا الكورونا لما هدأت ثورة باريس وغيرها من المدن الفرنسية ضد ماكرون، الرئيس المنبوذ في بلده، المبجل لدى المسؤولين في لبنان. لا يغيظني تصرف « ملك لبنان الفرنسي » على أرضنا العربية المقدسة في بيروت بقدر ما يغيظني تصرف المسؤلين في لبنان. لقد أصبحت « مبادرة ماكرون » عندهم قسماً مقدساً يرددونه كل يوم، ويدعمون به آراءهم وقراراتهم.

هل يرضى سوري واحد بأن يرى رئيساً أجنبياً يتمختر في شوارع دمشق ويوزع علينا «عبقريته» حلولاً لمشاكلنا؟؟.

أليست التبعية غالية التكلفة فعلاً ؟؟.

mahdidakhlala@gmail.com

انهيار تسويات ما بعد الحرب الباردة..
وعودة الانقسامات مع تجدد النزعات القومية

"البعث الأسبوعية"
ـ ترجمة وإعداد: علاء العطار

شهدت الأسابيع الأخيرة عودة قاتلة للصراعات الهامدة منذ فترة طويلة في كل من القوقاز وأثيوبيا والصحراء الغربية، وقد حملت هذه الأحداث غير المتصلة ببعضها سمة رئيسية مشتركة: إما أنها وقف لإطلاق النار، أو تسويات سياسية أبرمت في أوائل أو منتصف التسعينيات، ولكنها تسويات تتداعى اليوم

كانت أوائل التسعينيات آخر فترة اتسمت بتغيرات مهمة واسعة في العالم، ويعود ذلك إلى تفكك الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا واستقلال أريتريا وناميبيا. في ذلك الوقت، كانت هناك مخاوف من استمرار هذه الموجة من التفكك الوطني إلى أجل غير مسمى، حيث نشأت دول كثيرة لا ترقى لأن تكون كذلك، وفي حين أن نشوء دول جديدة قد يكون ضرورياً أو حتمياً، فقد تؤدي تجزئة المجتمع الدولي إلى مئات الكيانات الإقليمية المستقلة إلى عالم أكثر خطورة غارق في الفوضى.

لم يحدث هذا السيناريو، فقد تباطأ نشوء دول جديدة وإجراء تعديلات على الحدود الدولية إلى حد كبير على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية، ولم يعر أحد اهتماماً كبيراً لحركات الاستقلال الوطني كونها عاملاً رئيسياً في الصراع الدولي. وهناك أسباب التي أدت إلى عصر الخمول هذا، ولكن أحد الأسباب الرئيسية هو أن سلسلة من عمليات وقف إطلاق النار والتسويات والخداع الدبلوماسي التي جرت في التسعينيات أدت إلى تجميد كثير من النزاعات الإقليمية القائمة، وعدد من تلك النزاعات المجمدة آخذ الآن في الذوبان؛ فإثيوبيا مثلاً، باتت اليوم على شفا حرب أهلية بعد القتال الذي اندلع بين الحكومة المركزية والسلطات الانفصالية في منطقة تيغراي الشمالية، منذ ٤ تشرين الثاني؛ ويمتد الصراع الآن إلى أريتريا المجاورة أيضاً. وقد قُتل المئات، وفرّ عشرات الآلاف، ووردت تقارير عن فظائع واسعة النطاق منذ بدء القتال.



وتضم أثيوبيا قرابة ٨٠ جماعة عرقية، لذا ليس مستغرباً أن يشتمل تاريخها على بعض العنف العرقي، فقد قادت جبهة تحرير شعب تيغراي حرباً على القيادة العسكرية للبلاد خلال السبعينيات والثمانينيات، ثم سيطرت على سياسات البلاد لمعظم الثلاثين عاماً التالية.

في عام ١٩٩٤، وفي محاولة لتهدئة الصراع العرقي، وضعت الحكومة الأثيوبية بقيادة جبهة تحرير شعب تيغراي دستوراً جديداً أنشأ تسع ولايات فيدرالية على أساس عرقي تتمتع بدرجة عالية من الحكم الذاتي. وفي حين نجح هذا الهيكل الفيدرالي نسبياً في إخماد العنف لبعض الوقت، كان له أيضاً أثر في تعميق الانقسامات العرقية وإضفاء الطابع الرسمي عليها، فقد "أدى ذلك إلى نمو حركات قومية كثيرة، وعبرت الأحزاب أو الحركات العرقية عن كل مظلمة سياسية واقتصادية" - كما قال الخبير السياسي الأثيوبي يوهانس جيدامو - وهذا الحال يشابه ما جرى في يوغوسلافيا قبل التسعينيات، إذ أرجأت الفيدرالية حل الصراع العرقي بدل القضاء عليه. ومنذ أن تولى رئيس الوزراء أبي أحمد السلطة، في ٢٠١٨، طفت كثير من تلك المظالم إلى السطح، وشهدت البلاد أكبر عدد من النازحين الجدد في العالم في عام ٢٠١٨، ويرجع ذلك في الغالب إلى العنف العرقي في جنوب البلاد. والآن، يهدد الصراع بين الحكومة وجبهة تحرير تيغراي، التي همّشت في منطقتها الأصلية على مدار العامين الماضيين، بإلغاء التقدم الأخير نحو السلام المحلي.

في غضون ذلك، أدى وقف إطلاق النار في القوقاز إلى إنهاء ستة أسابيع من القتال بين أذربيجان وأرمينيا حول منطقة ناغورني كاراباخ المتنازع عليها، ما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن ألف شخص وتشريد المزيد. وتعود جذور هذا الصراع إلى ثمانينيات القرن الماضي، عندما طالبت منطقة ناغورني كاراباخ - التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي داخل أذربيجان - بنقلها إلى أرمينيا. كان الجميع آنذاك جزءاً من الاتحاد السوفيتي، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي بدأت سلسلة من المذابح نتيجة حرب واسعة النطاق في عام ١٩٩٢، ما أدى إلى مقتل أكثر من ٢٥ ألف شخص وتشريد حوالي مليون آخرين - معظمهم أذربيجانيون. أدى وقف إطلاق النار بوساطة روسية إلى إنهاء القتال في عام ١٩٩٤، وتركت ناغورني كاراباخ جيباً شبه مستقل - لكن غير معترف به دولياً - والعديد من المناطق المحيطة بها تقع تحت السيطرة الأرمينية.

وجرى انتهاك اتفاق وقف إطلاق النار مراراً على مدار الـ ١٦ عاماً التالية، لكن الهجوم الذي شنته أذربيجان في نهاية أيلول أدى إلى أسوأ فترة قتال منذ الحرب الأصلية، وهي فترة استقطبت قوى إقليمية أخرى، ما تسبب في جولة جديدة من النزوح الجماعي، ويبدو أن ذلك لن يكون — على الأرجح - الفصل الأخير في هذا الصراع الطويل الأمد.

الصحراء الغربية

ثار صراع خامد آخر منذ فترة طويلة في الصحراء الغربية التي يسيطر عليها المغرب، عندما أعلنت جبهة البوليساريو المؤيدة للاستقلال "استئناف الكفاح المسلح" بعد أن شن المغرب هجوماً عسكرياً على منطقة عازلة تسيطر عليها الأمم المتحدة. سيطر المغرب على المنطقة ذات الكثافة السكانية المنخفضة الواقعة على الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا عام ١٩٧٥، بعد انسحاب إسبانيا، القوة الاستعمارية التي كانت تحتلها سابقاً.

اقتتل الطرفان إلى أن وقعا على اتفاق لوقف إطلاق النار بوساطة الأمم المتحدة في عام ١٩٩١. وبموجب شروط وقف إطلاق النار، كان من المفترض إجراء استفتاء لتقرير مصير المنطقة، لكنه لم يحدث أبداً. ولا تزال معظم الأراضي تحت السيطرة المغربية، ولا يزال آلاف اللاجئين في مخيمات في الجزائر بانتظار حل ما.

وتبدو التسويات السياسية الأخرى التي أبرمت في حقبة التسعينيات جدّ هشة اليوم، بما في ذلك اتفاقيات أوسلو لعام ١٩٩٣، بين "إسرائيل" والسلطة الفلسطينية، واتفاقية الجمعة الحزينة (أو اتفاقية بلفاست) لعام ١٩٩٨ التي أنهت النزاع في أيرلندا الشمالية، كما أن تسوية "دولة واحدة. نظامان" الذي أسس سياسة الحكم الذاتي في هونغ كونغ، بعد نهاية الحكم البريطاني في عام ١٩٩٧، تبدو هشة جداً هذه الأيام.

تبدو هذه الاتفاقيات، في يومنا هذا، وكأنها بقايا حقبة متفائلة كانت تتلاشى فيها التوترات الإيديولوجية للحرب الباردة، ما جعل التعاون الدولي لحل النزاعات المستعصية سابقاً ممكناً. في كل هذه الحالات، جرى التوصل إلى تسويات منقوصة لتخفيف حدة الصراع، على أمل أن تحل الخلافات الأساسية بمرور الوقت.

لكن لسوء الحظ، ما إن خفّت حدة العنف وتضاءل الاهتمام الدولي وضاعت هذه النزاعات في ثنايا النسيان، مع بقاء الانقسامات الأساسية التي تسببت بنشوبها دون معالجة، حتى عادت تطفو إلى السطح مرة أخرى، في حقبة عودة صعود النزعات القومية .

أستراليا ومعمودية بالدم..
غالباً ما ينتهي المطاف بمحاكمة المهزومين في الحرب!!

"البعث الأسبوعية"
ـ سمر سامي السمارة

في بيان رسمي، قدم قائد قوات الدفاع الأسترالية، الجنرال أنغوس كامبل، اعتذارا صريحاً للشعب الأفغاني عن "الجرائم التي ارتكبتها القوات الأسترالية الخاصة في أفغانستان، بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٦"، وذلك بعد نشر السلطات الأسترالية، قبل يوم من ذلك، تقريراً يتضمن نتائج تحقيق عسكري حول الانتهاكات المرتكبة، مستنداً لأكثر من ٤٠٠ شهادة، وتحليلات لعشرات الآلاف من الوثائق التي وصفت الجرائم المرتكبة - غير المبررة - التي بدأت في العام ٢٠٠٩، ووقعت في معظمها بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، بأنها "أعمال قتالية في ساحة المعركة".

وبين عامي ٢٠٠١ و٢٠١٣، أرسلت أستراليا التي شاركت في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ١٥٠٠ جندي إلى أفغانستان، وبقي، منذ العام ٢٠١٣، حوالي ٣٠٠ جندي آخرين للمشاركة في إتمام مهمة تدريب عسكري لعناصر من الجيش الأفغاني.



بدأ التحقيق في جرائم الجنود الأستراليين في أفغانستان عام ٢٠١٧، وأشار إلى أن ٢٥ من أفراد الخدمة الفعلية وأفراد القوات العسكرية الأسترالية السابقين، بالإضافة إلى قادة الدوريات الأسترالية الخاصة في أفغانستان - على الأغلب - أجبروا المجندين على قتل معتقلين لتعزيز تجربتهم الأولى في القتل، وسميت هذه الممارسة بـ "معمودية الدم".

وأعلن الجنرال كامبل في بيانه أن القضايا الموجهة ضد ١٩ من الجنود الذين لا يزالون في الخدمة الفعلية والعسكريين الأستراليين السابقين، ستُحال قريباً إلى محقق مختص لتحديد ما إذا كانت هناك أدلة كافية لمتابعة جرائم قتل بحق ٣٩ أفغانياً كانوا معتقلين على الرغم من عدم حيازتهم للسلاح، وسيعاد تنظيم، أو حل، القواعد والوحدات العسكرية المذكورة في التقرير، وتجريد الأشخاص المذكورين في التقرير من مكافآتهم ورتبهم، كما سيتعين دفع تعويضات لأسر الضحايا.

وقد تكثفت المناقشات في دول عديدة حول الحاجة إلى جلسات استماع أمام المجتمع الدولي بشأن تلك الأنواع من الجرائم التي ارتكبتها الولايات المتحدة وحلفاؤها خلال عمليات التدخل المسلح الأخيرة، في السنوات الأخيرة وتم التذكير على وجه الخصوص بأن الدول الغربية بدأت حرباً في ليبيا استناداً إلى أخبار "ملفقة" حول المذابح والجرائم التي ارتكبها العقيد القذافي بهدف تعزيز مصالحها الخاصة في الاستيلاء على ليبيا.

وعلى الرغم من أنه تم تدمير دولة قوية في أفريقيا بشكل كامل، وإعدام زعيمها، في سياق هذه الحرب، إلا أن جرائم الحرب التي ارتكبتها الدول الغربية لا تزال دون عقاب حتى يومنا هذا، وهو الأمر الذي طالب به خبراء دوليون مراراً. وبالرغم من المداولات الكثيرة التي جرت مؤخراً في فرنسا حول تمويل العقيد القذافي لحملة نيكولا ساركوزي الانتخابية، في عام ٢٠٠٧، فإن المحكمة الجنائية الدولية، التي خولتها الأمم المتحدة مهمة محاكمة المسؤولين عن ارتكاب جرائم خطيرة، لم تبد رأيها بعد في المسؤولية التي تتحملها دول الغرب وحلفاؤها عن هذه الحرب.

وقد اتُهمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، بشكل صريح، بالحفاظ على حالة تعتيم مستمرة حول جرائم الحرب التي ارتكبتها الدولتان. ومن المعروف أن الولايات المتحدة كانت على خلاف مع المحكمة الجنائية الدولية، ووصفتها بأنها "ميتة عملياً"، كما فرضت عقوبات على قضاتها بسبب سياسة المحكمة تجاه الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل. وبحسب خبراء بريطانيين، أظهرت الإجراءات التي اتخذتها واشنطن، والهجمات التي شنتها إدارة ترامب على المحكمة الجنائية الدولية، الوجه القبيح لـ "الاستثنائية" الأمريكية، والتي كانت منذ عام ٢٠١٢ وراء حملة إعاقة عمل ممثلة الادعاء في المحكمة، فاتو بنسودة، بعد مبادرتها لفتح تحقيق رسمي بشأن الجرائم المحتملة التي ارتكبها الأمريكيون وحركة طالبان في أفغانستان منذ عام ٢٠٠١.

في غضون ذلك، قامت الولايات المتحدة بالكثير من الانتهاكات التي يجب محاسبتها عليها، مثل حالات الإعدام والاعتقال خارج نطاق القانون، والتعذيب وإيقاع إصابات جسيمة بين المدنيين، وكلها يمكن تصنيفها كجرائم حرب في أفغانستان.

ومع ذلك، فهذه ليست الدولة الوحيدة التي تركت فيها الولايات المتحدة بصماتها فيما يتعلق بجرائم الحرب، فهي متورطة أيضاً بارتكاب جرائم حرب في الصومال، وهذا ما أشارت إليه وسائل الإعلام الأمريكية، نقلاً عن تقرير صادر عن منظمة العفو الدولية. وعلى الرغم من تصريحات الجيش الأمريكي التي تفيد بأن أي مدني لم يقتل بسبب الغارات الجوية على الإرهابيين هناك، وجدت منظمة حقوق الإنسان أن العديد من الإصابات وقعت بين المدنيين.

ومن المؤكد أنه حيثما يطأ جنود الولايات المتحدة الأمريكية بأقدامهم، وتتدخل واشنطن في السياسات الداخلية للدول ومصالحها الوطنية في محاولة لتغيير السياسات والأنظمة، فإن مآسي على نطاق واسع تحدث، حيث تظهر الآثار الدموية للولايات المتحدة في كل مكان، كما كان الحال في فيتنام، اليابان، كوريا، كوبا، بنما، غواتيمالا، نيكاراغوا، المكسيك، الفلبين، أفغانستان، العراق، إيران، وأخيراً سورية.

وعلى غرار الولايات المتحدة، عارضت بريطانيا المحكمة الجنائية الدولية، ورفضت المصادقة على تعديل جديد من شأنه توسيع سلطة المنظمة، والسماح لها بمراجعة القضايا التي تنطوي على أعمال عدوانية ضد الدول الأخرى. ويرى خبراء في القانون الدولي أنه لو تم تمرير هذا القانون في وقت سابق، لتخلت السلطات البريطانية عن غزوها للعراق في عام ٢٠٠٣. أما بالنسبة للأنشطة التي قام بها نظام القضاء البريطاني، فسوف يكون من المفيد التأكيد مجدداً على مدى أهمية قيام رئيس أركان الجيش العراقي السابق، في عام ٢٠١٧، برفع دعوى قضائية ضد توني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، في لندن، بتهمة العدوان العسكري الذي سمح به في العراق، وضرورة تقديم الجنود البريطانيين للعدالة بسبب جرائم الحرب التي ارتكبوها في العراق.

بغض النظر عن جميع الدعاوى المضادة، ينبغي اعتبار العدالة الدولية إنجازاً عظيماً للإنسانية، لأنها تتيح تقديم تعويض للضحايا، كما أنها بمثابة تحذير لعمليات الإجرام المحتملة. ومع ذلك، فإن العديد من الحروب والنزاعات المسلحة التي حدثت، لا تؤدي إلى إدانة المجتمع الدولي للمذنبين الذين يقومون بذلك، أو لأولئك الذين ارتكبوا جرائم حرب.

لسوء الحظ، في كثير من الأحيان، في الحالات التي يوجد فيها منتصر في الحرب، ينتهي المطاف فقط بمحاكمة المهزومين، لذا فالمسألة التي تدور حول ما إذا كان يجب محاكمة الأشخاص على جرائم الحرب هي قضية لا تزال دون حل.

البعث الأسبوعية
الأربعاء ٢ كانون الأول ٢٠٢٠ العدد ١٥
سياسة 11

بلينكين يحدد التصورات المستقبلية لسياسة بايدن الخارجية:

يجب أن نعترف بأننا فشلنا في سـورية وعزلنا أنفسنا عن أقرب حلفائنا تجاه إيران



"البعث الأسبوعية" ـ تقديم وترجمة: علي اليوسف

وقع اختيار الرئيس الأمريكي المنتخب جو بايدن على الدبلوماسي المخضرم والفرانكفوني أنتوني بلينكن ليشغل منصب وزير الخارجية في إدارته التي ستتولى مهامها فور تنصيبه رسمياً في ٢٠ كانون الثاني المقبل ومن المتوقع أن يحدث بلينكن – ٥٨ عاماً – قطيعة مع سياسة دونالد ترامب الخارجية، والتي تميزت بالاضطراب والجدل، ما يعني أن الرئاسة الأمريكية الجديدة ستلعب دوراً رئيسياً في إعادة تشكيل بعض السياسات الخارجية وبهذه المناسبة، أجرت الصحفية الأمريكية مارغريت برينان المنسقة الحالية لبرنامج "واجه الأمة"، على قناة CBS News، وكبيرة مراسلي الشبكة للشؤون الخارجية، لقاءً مع بلينكن، تم بثه الشراكة مع مؤسسة "ميريديان" الدولية – منظمة غير ربحية هدفها الأساسي ترتيب المحادثات السياسية على المستوى الوطني وحتى المفاوضات الدولية – بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢٠، وفيما يلي الجزء الخاص بكل من سورية وإيران والصين والكيان الإسرائيلي من المقابلة.

برينان: هل يمكنك من فضلك تلخيص سياسة الرئيس بايدن تجاه سورية؟ وكيف يقارن ذلك بالرئيسين أوباما وترامب؟

بلينكين: هذا شخصي إلى حد ما بالنسبة لي، وأي شخص منا، وأبدأ بنفسي: من الذي كان يتحمل المسؤولية عن سياستنا في سورية؟ في الإدارة الأخيرة، يجب أن نعترف بأننا فشلنا ليس بسبب عدم المحاولة، لكننا فشلنا. لقد فشلنا في منع وقوع خسارة مروعة في الأرواح. لقد فشلنا في منع النزوح الجماعي للأشخاص داخلياً في سورية، وبالطبع في الخارج كلاجئين وهو شيء سآخذه معي لبقية أيامي. إنه شيء أشعر به بقوة، لذا – كما تعلمون – ما حدث، لسوء الحظ، منذ ذلك الحين هو أن الوضع المروع قد ازداد سوءاً، وحتى النفوذ الذي كان لدى الولايات المتحدة في سورية لم يحقق أي نتائج إيجابية لسوء الحظ، أزالت إدارة ترامب هذا النفوذ عبر قرار الانسحاب من سورية. الآن لدينا بعض القوى المتبقية، والتي سأتناولها في غضون ثانية. هذا مهم في شمال شرق سورية. التخلي عن شركائنا بمن فيهم الأكراد كان خطأً فادحاً، وسندفع ثمنه لذا، للمضي قدماً، لا أريد المبالغة في هذا لأنه يمثل تحدياً كبيراً. ولكن مرة أخرى، نفوذنا أقل بكثير مما كان عليه لكنني أعتقد أن لدينا نقاط قوة لمحاولة إحداث بعض التطورات الإيجابية. لا يزال لدينا عدد قليل من القوات الخاصة في شمال شرق سورية. وتصادف أن تكون بالقرب من مكان وجود موارد قيمة للغاية. لا ينبغي أن يكونوا هناك من أجل النفط، كما أراد الرئيس ترامب، لكنهم كانوا هناك بجوارها. هذه نقطة ضغط لصالحنا، لأن الحكومة السورية مصممة على استعادة تلك الموارد. يجب ألا نتخلى عن ذلك مجاناً. وبالمثل، لدينا قدرة أكبر من أي بلد على وجه الأرض لتعبئة الآخرين للمساعدة في إعادة بناء سورية وإعادة إعمارها في الوقت المناسب. يجب أن نتأكد من أننا إذا كنا سنلعب هذا الدور، فسنحصل عليه نيابة عن الشعب السوري. لذلك، على سبيل المثال، إذا كانت إدلب لا تزال تحت الحصار، فيجب إنهاء ذلك. إذا لم تصل المساعدة الإنسانية إليها، فهي بحاجة إلى ذلك. ويجب علينا أيضاً استخدام النفوذ الذي لدينا للإصرار على وجود نوع من الانتقال السياسي.

الآن، ما هي العملية الدبلوماسية الموجودة؟ الولايات المتحدة متواجدة في سورية بدون موافقة الحكومة السورية، حالنا كحال الأتراك، على العكس من الروس والإيرانيين. استطيع أن أقول لك هذا، لا يمكنني ضمان النجاح، لكن يمكنني أن أضمن أننا في إدارة بايدن سنظهر ذلك على الأقل.

برينان: هل هذا يعني أنه لا توجد طريقة تسمح لـ إدارة بايدن بالتطبيع مع الرئيس بشار الأسد، كما تفعل بعض الدول في المنطقة؟

بلينكين: يكاد يكون من المستحيل بالنسبة لي تخيل ذلك.

برينان: من الأمور الأكثر إلحاحاً أيضاً كيفية التعامل مع إيران. لقد كنت جزءاً من تلك المفاوضات خلال إدارة أوباما ـ بايدن. لقد قلت إنه إذا عادت إيران إلى الامتثال لاتفاق ٢٠١٥، فإن الولايات المتحدة بدورها ستعود إلى الامتثال. عندما تقول ذلك، هل تقول إن العقوبات الأمريكية ستظل سارية حتى توافق إيران على الشروط الجديدة أيضاً؟

بلينكين: أولاً، لنعد خطوة سريعة إلى الوراء، وننظر إلى ما حدث خلال العامين الماضيين. وفقاً لشروطها الخاصة، كان نهج إدارة ترامب تجاه إيران في الانسحاب من الصفقة بمثابة فشل ذريع. قال الرئيس ترامب إنه سيجبر الإيرانيين على العودة إلى الطاولة للتفاوض على عرض جديد، أي صفقة أفضل. هذا لم يحدث وبالمثل، في ممارسة ما وصفته بالضغط الأقصى، أصرت الإدارة على أن هذا من شأنه أن يكبح أنشطة إيران في المنطقة، وهذا لم يحدث، وعلى عكس ذلك، ما توقعه الكثير منا في ذلك الوقت قد حدث، وهو أننا رأينا تصعيداً لولبياً، وليس نوايا متصاعدة. أعادت إيران الآن استئناف بعض جوانب برنامجها النووي التي أوقف الاتفاق النووي مسارها. وللأسف، تم اتخاذ سلسلة من الإجراءات الاستفزازية التي تعرض قواتنا للخطر في الشرق الأوسط والعراق وسورية، وكذلك مواطنينا. وقد حدث كل ذلك في نفس الوقت الذي تمكنا فيه من عزل أنفسنا عن أقرب حلفائنا. نحن نختلف بشكل أساسي مع النهج الذي اتبعته إدارة ترامب تجاه إيران. إذا عادت إيران إلى الامتثال للاتفاق، فعندئذ نعم، قال جو بايدن إننا سنفعل الشيء نفسه، لكننا سنستخدم ذلك كمنصة لمحاولة بناء صفقة أقوى وأطول للعمل مع شركائنا.

وأعتقد أنه ستكون لدينا فرصة جيدة للقيام بذلك لأن شركاءنا سيكونون معنا، ولن ينفصلوا عنا لكبح الإجراءات التي تقوم بها إيران والتي نجدها مرفوضة.

برينان: إذن هل تقول إن العقوبات الأمريكية ستظل سارية كلياً أو جزئياً حتى تحصل على تلك الشروط الجديدة؟

بلينكين: ستبقى معظم العقوبات سارية، ولا يزال لدينا قيود كبيرة حتى في ظل الاتفاق. سيبقى كل ذلك في مكانه بالفعل، لكن من الواضح أننا كنا في وضع أفضل بكثير بموجب الاتفاقية مما نحن عليه بدونها. هناك الكثير من الأشياء الأخرى التي نواجه تحديات معها، لكننا سنكون في مكان أفضل للتعامل معها إذا تمت إعادة الصفقة إلى الطاولة.

برينان: السناتور ساندرز، المنافس السابق لجو بايدن، استخدم بشكل متكرر مصطلح "عنصرية" للحديث عن الحكومة الإسرائيلية الحالية. من وجهة نظر إدارة بايدن، ضم إسرائيل للضفة الغربية الفلسطينية، بالكامل، أو جزئياً، الذي يعتبر انتهاكاً للقانون الدولي. ماذا ستفعل في كانون الثاني في بداية إدارة بايدن حيال ذلك؟

بلينكين: لقد أعلن بايدن عن موقفه عدة مرات خلال هذه الحملة، وأوضح معارضته لها. هو يعتقد أن الطريقة الوحيدة لتأمين مستقبل إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية، وكذلك للتأكد من تحقيق تطلعات الفلسطينيين في إقامة دولة، هو من خلال حل الدولتين. وأي عمل أحادي الجانب من قبل أي من الطرفين يجعل هذا الاحتمال صعباً للغاية، بل أكثر صعوبة. إن معارضته للضم هي بالضبط لأنه أحد تلك الإجراءات الأحادية التي تجعل احتمالية الدولتين أكثر تعقيداً. لذلك كان واضحاً في معارضته. كان سيقول إنه يعارضه كمرشح وسيعارضه كرئيس. لا أريد أن أستبق الأحداث. يمكن أن يحدث الكثير بين الحين والآخر، نحن لا نعرف ماذا ستكون البيئة. لا نعرف ما هي الحقائق المختلفة على الأرض. وبالطبع، لم تتخذ الحكومة الإسرائيلية قراراً فعلياً بعد بشأن المضي قدماً. لذلك دعونا نرى ما تفعله الحكومة. هناك مئتان وعشرون من قادة الأمن والدفاع الإسرائيليين السابقين، قادة مخابرات وقادة عسكريين، خرجوا ضد الضم. هؤلاء هم المسؤولون عن أمن إسرائيل لسنوات وسنوات، ويعتقدون أن ذلك سيكون سيئاً لأمن إسرائيل في المستقبل. وأعتقد أن هذا هو المكان الذي نحن فيه أيضاً.

برينان: هل سيتم تعليق جزء من المليارات المقدمة لإسرائيل؟

بلينكين: بايدن يمكنه توضيح الأمر بنفسه. وأعتقد أنه لن يربط مساعدتنا العسكرية لإسرائيل بأي قرارات سياسية. يتعرض أمن إسرائيل للتحديات على أساس يومي. يواجهون تهديدات وجودية كل يوم. وقد أوضح أنه لن يربط مساعدتنا العسكرية بهذا. لذلك هذا هو الشيء الوحيد الذي استبعده صراحة الآن، ربما تكون هذه هي أكبر نقطة للضغط. من مصلحتنا أن تمتلك إسرائيل الوسائل لتأمين نفسها.

برينان: أحد الأشياء التي تم الكشف عنها في الأشهر القليلة الماضية هو اعتماد أمريكا على الإنتاج الصيني لا سيما معدات الوقاية الشخصية؟!

بلينكين: نحن متشابكون للغاية، وهناك فوائد من ذلك، ولكن عندما يتعلق الأمر بالأشياء الحاسمة التي تتعلق بأمننا القومي، وتتعلق بصحتنا الوطنية، فسوف يتعين علينا النظر بعناية شديدة في ذلك، والتأكد من أنه يمكننا حماية أنفسنا.

برينان: منذ وقت قريب أعلنت الصين أنها ستتبرع بملياري دولار، وسترسل أطباء إلى أفريقيا والعالم النامي للمساعدة في مكافحة فيروس كورونا، كما تعهدت الولايات المتحدة بضخ المليارات حول العالم، لكن إدارة ترامب، كما تعلم، تهدد بمواصلة تجميد تمويل الولايات المتحدة لمنظمة الصحة العالمية. هل ستضاهي إدارة بايدن ما تعهد به شي جين بينغ بمبلغ ملياري دولار لمكافحة الفيروس؟ هل هناك سبب يجعل الولايات المتحدة تظل أكبر مانح في منظمة الصحة العالمية؟

بلينكين: هناك شيء واحد هو أن إدارة بايدن ستفعل عكس ما فعلته إدارة ترامب فيما يتعلق بالانسحاب من المنظمات والمؤسسات والتحالفات الدولية، لأنه في النهاية هذا هو الخيار لدينا. نحن نعلم أن هذه المنظمات بحاجة إلى الإصلاح، ولكن في حالة عدم قيامنا بذلك فإن شخصاً آخر سوف يملأه، وبالفعل رفعت الصين يدها وقالت إننا سنملأه.

برينان: عليك أن تظل المانح الأول لمنظمة الصحة العالمية للقيام بذلك؟

بلينكين: أود أن أقول فقط أن هذا هو المظهر، هذا اقتراح قابل للنقاش. من الجيد أنه مع ظهور دول أخرى واكتسابها القوة والموارد فإنها تساهم بشكل أكبر، وهذا أمر جيد للصالح العام، لذلك لا يتعين علينا بالضرورة أن نظل المانح الأول. بالمناسبة معظم الأموال التي نقدمها لمنظمة التجارة العالمية تتم على أساس تطوعي. لكن الشيء الرئيسي هو أنه إذا لم نكن في اللعبة، ولم نكن على الطاولة، فسيتم اتخاذ القرارات بطرق قد لا نحبها.

برينان: كنت أنظر إلى بعض تصريحات بايدن مؤخراً حول أن الصين تفرض رقابة على الأبحاث حول فيروس كوفيد ١٩، ما يجعل من الصعب على بقية العالم التغلب على الفيروس، وقال أيضاً إنه كان سيطالب، بعد فوات الأوان، بالسماح للمحققين الأمريكيين بالدخول إلى الصين في البداية، وليس فقط الإثنين اللذين ذهبا مع منظمة الصحة العالمية. هل كل هذا مجرد حملة خطابية لتبدو صارماً تجاه الصين، أم أن هناك مطالبة من جانب إدارة بايدن من الصين للتعويض بطريقة ما عن انتشار هذا الفيروس؟

بلينكين: الصين دولة عظمى. نحن نعلم أن الفيروس نشأ في الصين وحتى اليوم، لم تتحمل الصين مسؤولياتها بشكل جزئي في كانون الثاني وأوائل شباط الماضيين، دعا بايدن الصين إلى توفير الوصول للمعلومات. لكن في وقت كان من المهم الإصرار على أن تفي الصين بمسؤولياتها، لم يفعل الرئيس ترامب ذلك، بل على العكس، فقد ذهب للإشادة بالحكومة في بكين لتعاونها وشفافيتها. في الوقت نفسه، كان بايدن واضحاً تماماً بأن الصين بحاجة إلى اتخاذ خطوات للوفاء بمسؤولياتها. هذا ما كان يقوله بشكل متزامن في كانون الثاني وأوائل شباط، عندما كان الرئيس ترامب يفعل العكس تماماً.

برينان: تتحدث عن التعاون العالمي وتتشدد مع الصين. نظراً لاعتماد الولايات المتحدة على الصين، ألا يزداد الأمر صعوبة حين القيام بالأمرين معاً؟ قال بايدن إنه يريد نقل ٦٠٪ من القوة البحرية الأمريكية إلى آسيا للسماح للصينيين بإدراك أنهم لا يستطيعون المضي قدماً في صيد الأسماك في بحر الصين الجنوبي ومناطق أخرى. لكن ما تعلمناه هو أن الولايات المتحدة تعتمد بشكل لا يصدق على الصين. إذن، كيف يمكنك فعلاً تقديم كل الأشياء التي تضعها هنا؟

بلينكين: اتخذت إدارة أوباما بايدن القرار بنشر قواتنا البحرية، وعندما فعلنا ذلك كان لإعادة ما يسمى التوازن إلى آسيا. نظرنا إلى المكان الذي تكون فيه اهتماماتنا في المستقبل أكثر أهمية، أي معرفة ما إذا كانت مواردنا تتوافق مع تلك المصالح. نحن نعاني من نقص الموارد من آسيا لذلك قمنا بهذا التغيير. وجزء من هذا التغيير تضمن إعادة نشر الأصول البحرية بحيث يكون ٦٠ بالمائة من قواتنا البحرية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. هذا شيء قررته إدارة أوباما، وهذا تحدّ، ولا حرج في المنافسة.

برينان: هل ستغير إدارة بايدن سياسة أوباما بشأن بحر الصين الجنوبي؟

بلينكين: أنا لا أتفق مع فرضية السؤال. على العكس، لقد شاركنا في العمل لدعم القانون الدولي المتعلق بحرية الملاحة، بما في ذلك في بحر الصين الجنوبي. لقد أشركنا الصينيين باستمرار في القيام بذلك للتأكد من أنهم يوفون بالتزاماتهم بموجب القانون الدولي. نحن، بالطبع، لسنا طرفاً، على الرغم من أننا يجب أن نلتزم بقانون البحار. عندما أعلنت الحكومة في بكين من جانب واحد ما يسمى بمنطقة تحديد الدفاع الجوي في الأجواء الدولية، ذهب بايدن إلى الصين، ورأى شي جين بينغ وأخبره بطريقة هادئة للغاية ولكن مباشرة: لن نحترم منطقة تحديد الدفاع الجوي التي أعلنت من جانب واحد ولن نعترف بها وسنطلق قاذفاتنا خلالها، وهذا بالضبط ما فعلناه. كان بايدن من أشد المؤيدين لما يسمى حرية عمليات الملاحة. فقط، للتأكيد مرة أخرى على نقطة مفادها أن وجودنا في منطقة آسيا والمحيط الهادئ كقوة في المحيط الهادئ هو التأكيد، من بين أمور أخرى، على أن منتجات الأشخاص وكذلك الأفكار، في مساحة مختلفة، يمكن أن تستمر في التدفق بحرية، وهو جانب أساسي من سياستنا في المنطقة.

برينان: هناك نقطة واحدة تحظى باهتمام الحزبين وهي الصين، وكلا المرشحين شنا هجوماً عنيفاً عليها. كيف تقوم بحملة من هذا القبيل دون إثارة المخاوف من أن اللغة المستخدمة قوية جداً بحيث يمكن أن تغذي كره الأجانب؟

بلينكين: هذا ليس بالأمر الجديد، يحدث هذا في الغالب في انتخاباتنا. إذاً هذا هو الواقع، وإذا كانت لازمة ثابتة نوعاً ما في خطابنا الانتخابي، فقد أصبحت ساخنة أعتقد، كما تعلمون، عندما يتعلق الأمر بالصين، مرة أخرى، يجب أن نصر على أن تفي الصين بمسؤولياتها.



ظواهر سلبية وأمراض خفية.. النفاق والتملق يسيران برياضتنا نحو المجهول!!



«البعث الأسبوعية»
ـ ناصر النجار

الجميع ينشد التطور الرياضي ويبحث عنه ويأمل أن يرى رياضتنا في أعلى المصاف، لكن الكثيرين لا يعرفون من أين يبدؤون البعض يتجه نحو الإمكانيات المالية والتقنية، ويعتقد أن رياضتنا لتتطور بحاجة إلى مال قارون، والبعض يقول إن رياضتنا تحتاج إلى قوانين وتشريعات جديدة وخصوصاً أن بعض الأمور تصطدم بعوائق كثيرة منها ما لا يتلاءم مع القوانين العامة، مثل الأمور الاستثمارية والإنشائية والإدارية، فالكثير من المشاريع الرياضية تجد ما يعيق تنفيذها قوانين أخرى تحكم المؤسسات العامة الحكومية.

ويرى البعض أن البنية التحتية للرياضة، ومنها المنشآت الرياضية، تحتاج إلى البناء والتجديد، ودون وجود ملعب صالح وصالة متميزة لا يمكننا تحقيق أي تطور رياضي وسنبقى نقف مكاننا دون أي تقدم، ويربط البعض عجلة التفوق الرياضي بالمشاركات الخارجية القوية المجدية التي تمنح لاعبينا الخبرة وتزيد من موهبتهم ومنهم من يجد في المدربين الأجانب الخبراء البوصلة التي تصل باللاعب إلى منصات التتويج القارية والعالمية، وهكذا أمور واقتراحات، وربما جميعها، تحتاج إليها رياضتنا، لأن التطور يحتاج إلى عوامل عديدة ومجتمعة معاً لنحقق القفزة النوعية في الرياضة.

طفرات معدودة

منذ أن أبصرت منظمة الاتحاد الرياضي العام النور فإن الانجازات التي تحققت كانت تعد على أصابع اليد الواحدة، وكلها طفرات بسبب وجود مواهب فطرية. وللأسف لم نصنع غادة شعاع، فموهبتها كانت الكشاف والصانع الحقيقي للذهب الذي ما زلنا نتغنى به حتى الآن لأنه ذهب يتيم!

حتى على مستوى كرة القدم، فالمواهب التي تظهر بين الفينة والأخرى هي مواهب فطرية بالدرجة الأولى، ومثل هذه الومضات موجودة في بقية الألعاب، كالملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال التي توهجت على الصعيدين القاري والعربي.

واليوم، نعزو كل إخفاق لرياضتنا للأزمة، وقد يكون في هذا الكلام جزءاً من الحقيقة، لكن من الخطأ بمكان أن يكون هذا العذر مبرراً للتكاسل والإهمال والوقوف على أطلال الأبطال والبطولات.

وإذا كان ما سبق من اقتراحات لتطوير الرياضة الوطنية يصب في عين الحقيقة، فإن الأصح أن يكون البناء الرياضي وفق أسس سليمة ونظيفة، فقبل البناء يجب أن نحارب الفساد الموجود في رياضتنا، فما بني على باطل فهو باطل، وللأسف تنتشر في صفوف رياضتنا الكثير من الأمراض المزمنة، والتي تشكل بمجملها عوامل الفساد والإفساد، ومن هذه الأمراض الكذب والنفاق والتملق والمحسوبيات والشللية ويقودها سياسة الكيل بمكيالين، وازدواجية المعايير، والمصالح الشخصية الذاتية.

وهذا كله يولّد الهدر في الوقت والهدر في المال، وإضاعة المواهب وتهجير الخبرات على مبدأ «هذا معي وهذا ضدي» لذلك لن ترتقي رياضتنا إن لم نتعامل معها بمنطق وعقل متفتح، فيكون الرجل المناسب في المكان المناسب، ولو اختلفنا معه في الرأي، فالمصلحة العامة تقتضي أن نبحث عن الأصلح والأكثر خبرة ونزاهة.

النفاق والتملق

آفة رياضتنا النفاق والتملق، وهذا الأمر موجود، ونجده في الاجتماعات الرسمية والخاصة، وهو منتشر بكثرة على وسائل التواصل الاجتماعي، والغاية منه التقرب من صاحب القرار مهما كانت صفته أو مركزه، ونجد أن هؤلاء المنافقين يطلقون على أصحاب المراكز صفات ما أنزل الله بها من سلطان، ليست بحقيقية، ولا هي طبيعية، ولا منطقية.

والمسؤولون هنا نوعان: واحد يعرف الحقيقة، ويدرك أن هؤلاء منافقون يتملقون من أجل الحصول على مكاسب معينة، وآخر تغره كلمات المدح والإطراء، ويعيش مع الحالة، وتجده وقد أصبح «عنتر زمانه»! والضرر برياضتنا يأتي من هذا الباب، لأن المنافقين والمتملقين كثر، واعتادوا على التصفيق والتطبيل والتزمير فقط.

وعلى سبيل المثال، فإن أي رئيس ناد أو اتحاد يكثر حوله المنافقون، وهذا ما نجده حياً ولا يحتاج إلى الأدلة والبراهين، فكل قرار يصدره رئيس هذا النادي أو الاتحاد يقابل بالتصفيق، وبعضهم يصفه بالقرار الصحيح أو الجريء، أو القرار الذي كانت تنتظره رياضتنا منذ زمن بعيد، وللأسف قد يكون القرار ارتجالياً وغير محسوب العواقب!

وفي المؤتمرات السنوية، أو التي تعقد بمناسبات مختلفة، لا نجد إلا الذي يرفعون أيديهم بالموافقة، دون أدنى مناقشة لأي قرار قد لا يكون مناسباً وقد يقضي على النادي أو على اللعبة، وكل ذلك حتى يبقى هذا المسؤول الرياضي راضياً على أعضاء المؤتمر وليوزع جوائز الترضية على من يصدقونه ويؤيدون قراره ولكي نعلم هزالة الموضوع وهذا التأييد فإن جوائز الترضية لا تعدو أن يوضع هذا المنافق في لجنة ما أو أن يكون مراقباً لمباراة ما.

المصلحة الرياضية الوطنية تكمن في الشجاعة والجرأة، وذلك بالوقوف أمام أي قرار خاطئ عبر النصيحة والمناقشة، ثم الاعتراض الرسمي، ثم التحفظ، ونحن بذلك نكون قد أدينا مهامنا على أكمل وجه ضمن الأطر القانونية، لأننا لا نريد من هذا الأمر مخالفة القوانين والأنظمة لأن في ذلك إثم كبير، ونحن نقدس الرياضة وكل قوانينها الموضوعة.

العودة عن الخطأ

وكما يقال، فإن العودة عن الخطأ فضيلة ومراجعة الذات هي الباب العريض للإصلاح، لذلك من الطبيعي أن تكون هناك مراجعة دائمة لكل القرارات الصادرة ومدى نجاعتها. ولسنا مع القول بمنح الفرص، فليس كل شخص يستحق أن نمنحه الفرصة، وخصوصاً أولئك الذين دخلوا رياضتنا من الباب الضيق أو الذين دخلوها عبر المحسوبيات والمقربين وغير ذلك، فهؤلاء الأشخاص نتائجهم على الأرض مدمرة لأنهم سيقضون على رياضة كاملة في ناد كبير أو اتحاد لعبة رياضية مهمة.

فما يحدث في نادي الاتحاد – مثلاً – وهو قلعة رياضية شامخة يستوجب إعادة النظر في الإدارة، فـ «المكتوب مبين من العنوان»، وكلما مرّ الوقت ازداد الخطر وبات الوضع ينذر بكارثة رياضية تمارس بحق ناد عريق جماهيري يملك إنجازات وبطولات وهو رافد كبير للرياضة الوطنية.

فالمراجعة تحتاج إلى النظر بعين المصلحة العامة، وتصويب القرار سيكون شجاعة تحسب لمن أصدر القرار، لأنه سيضع النادي على الطريق الصحيح، وكرة القدم في النادي خير مثال، فالحصيلة التي حققها الفريق حتى اليوم لا تتناسب مع حجم فريق الاتحاد وتاريخه وإنجازاته، والقرارات المتخذة لدى الفريق من التعاقدات واختيار اللاعبين والمدربين يدفع ثمنها النادي وجماهيره العريضة، والأخطاء المرتكبة صادرة عن شخص واحد تبين أنه غير جدير بمنصبه وغير مؤهل لذلك، والصواب إبعاد هذا الشخص عن النادي لأن استمراره قد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، وخصوصاً أن هذا العضو مخالف لكل الشروط التي تؤهله ليكون عضواً في النادي، وهنا يكمن الدور السلبي لأولئك الذين يبحثون عن مصالحهم الشخصية والفردية على حساب مصلحة ناد كبير بتزكية شخص غير مؤهل، والمنافقون يؤيدون أي قرار متخذ دون مناقشة، وهكذا تضيع رياضتنا وسط هذه التقلبات والأهواء.

ربما، هذا المثال واضح للعيان، لكن هنالك أمثلة كثيرة في أندية واتحادات تتشابه بهذه الحالة، لكنها لم تطفو إلى السطح بعد، وإن كانت الأقاويل تكثر عنها بمحيطها.

المؤتمرات السنوية

وما يحدث في المؤتمرات السنوية دليل كبير على كمية الهدر الذي تعيشه رياضتنا في كافة المفاصل، فحسب النظام الداخلي للاتحاد الرياضي العام فإن المؤتمرات السنوية هي استعراض ما تم إنجازه من أعمال وتقديم ورقة عمل للموسم الجديد، على أن تتم الموافقة على هذا كله من أعضاء المؤتمر، ولأعضاء المؤتمر صلاحيات واسعة ضمن القانون تصل في أعلاها إلى حجب الثقة عن إدارة النادي، أو إدارة هذا الاتحاد أو ذاك.

لكن العكس هو الصحيح، فتأتي المؤتمرات كلاسيكية لا فائدة منها، لأنها لا تطبق القانون، فالعلّة ليست بالمؤتمرات، بل بأعضاء المؤتمر الذين لا يمارسون الصلاحيات التي منحها لهم القانون.

كل الأندية بلا استثناء، وكل الاتحادات الرياضية بلا استثناء، تنال الثقة والموافقة على مؤتمراتها بالإجماع، وإذا تضمن أي مؤتمر بعض المداخلات والحوارات، فإن هذه النقاشات لا تقدم ولا تؤخر، وهي عبارة عن مطالبات بأمور شخصية بحتة، كزيادة الأجور وتأمين التجهيزات وحجز الملاعب والصالات والمراقبة واللجان وما شابه ذلك. أما استراتيجية العمل فهي غائبة كلّياً، وكم من مؤتمر أقيم وجدنا غاية أعضائه توقيع إذن سفر!

ولو افترضنا – على سبيل المثال – أن كل مؤتمرات الأندية سليمة وصحيحة وخطتها واضحة، لما رأينا اهتزازاً بالنشاط الرياضي، وتراجعاً في الألعاب، ومخالفات هنا وهناك، وهدراً بلا طائل للمال.

فألا يستحق ناد ما يصرف في الموسم الواحد أكثر من نصف مليار ليرة سورية على كرة القدم وحدها، ولم يحقق أي شيء بكل فئاته، أن نسأله: أين صرفت هذا المال؟ وإذا كانت الإدارة غير جديرة بهذا العمل، أفلا تستحق أن نحجب عنها الثقة؟

اللعب على الحبال

بناء على ما سبق، نلمس كثيراً موضة اللعب على الحبال من أجل تمرير المصالح الشخصية وهذا التلون بالتعامل مع من هم في سدة القرار، أو مع من هم في مواقع أخرى، لا يفيد رياضتنا لأن الغاية من كل ذلك هو دفع أشخاص نحو أماكن لا يستحقونها وإبعاد خبرات نزيهة لأن وجودها في العمل الرياضي يضر بمصلحة هؤلاء المتملقين والطفيليين الذين وجدوا مصالحهم في الرياضة، وهم بالأصل لا يستحقون أن يكونوا في مدرجات الملاعب مع الجمهور.

وكم نسمع عن بعض الكوادر التي أبعدت عن العمل الرياضي بسبب كلام كيدي وفتنة لا أصل لها، وهذا للأسف يحدث في الكثير من الأندية والاتحادات الرياضية وأيضاً في اللجان العليا والفرعية.

ودائماً، الحلول معروفة وبسيطة، وتكمن في التروي والحكمة بالعمل وإيجاد الأشخاص القادرين على العمل الرياضي من ذوي السيرة الرياضية الجيدة والسمعة الحسنة، وهو ما يتطلب منا ألا نكون سماعين لمن ليس لهم همّ إلا مصالحهم الفردية ولا بد من إلغاء سياسة «هذا معي وهذا ضدي»، لأنها أوصلتنا – وتوصلنا – بكل سهولة إلى ما نحن عليه من تراجع، فالمقياس الأساس في العمل الرياضي الوطنية والخبرة والسيرة الذاتية الحسنة.

مهنة المتاعب

في خضم هذه المعاناة نجد أن وسائل الإعلام غير مرض عنها من أصحاب المراكز الرياضية، فالمطلوب من الإعلاميين أن يكونوا مطبلين ومزمرين، وأن يبيّضوا صفحة رئيس النادي الفلاني، أو رئيس اتحاد لعبة ما، أو حتى مدرب أو لاعب ودوماً، يصطدم الإعلاميون مع أصحاب القرار عند النقد البنّاء الإيجابي، فرجل الإعلام لا يحتاج رضا أحد، فمهمته كشف الثغرات والعيوب ليتم إصلاحها؛ وبالأصل يتحدثون عن الشراكة الإعلامية، وعليهم تقبل المهام الإعلامية بصدر رحب ما دامت الغاية دوماً تصحيح الأخطاء وتطوير الرياضة، فالإعلامي عين صادقة لكل المسؤولين الرياضيين ينقل الأحداث ويفند الأخطاء، ويضع الملاحظات من ضمن مسؤولية وطنية، كما أكد على هذا الدور الايجابي المناط بالإعلام السيد الرئيس بشار الأسد، فالممارسات الإعلامية، وإن أزعجت البعض إلا أنها تصب ببوتقة العمل الرياضي، لأنها تسهم في كشف العيوب كما أنها تدعم كل الحالات الإيجابية.

كوارث «غير» طبيعية في نادي الاتحاد..

جوف يحترق ودخان يحجب الجهود الاستراتيجية!!

"البعث الأسبوعية" ـ محمود جنيد

يكاد لا يصدق البعض ما يحدث داخل البيت الداخلي لفريق كرة القدم الأول في نادي الاتحاد. شيء ما يحترق على إيقاع نبض متلاش وسط صدمة جماهير النادي على ما ألت إليه أمور فريقهم الذي مني بأربع هزائم مقابل تعادل مع شريك الهم والغم، الحرية، في غضون خمس جولات من الدوري الممتاز لكرة القدم، قبع فيها الآسيوي العريق في المركز الثالث عشر على سلم ترتيب فرق الدوري الممتاز لكرة القدم.

بعد استئناف الدوري الذي سبقته الإطاحة بالمدرب مهند بوشي، عقب التعادل مع الحرية في الدوري، وسبقته الهزيمة أمام الجيش والكرامة، كلف أسامة حداد وأنس الصاري بمهمة قيادة الفريق، بتسمية مدرب للأول، ومدير فني للثاني؛ وكان في تلك التسميات تعتيم على هوية "الكوتش"، صاحب المسؤولية الأولى؛ وقيل لنا حينها أن الإثنين واحد ووجهان لعملة واحدة (قيادة الفريق)، وحينها سرى جدل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي – كالعادة – حول التسميات، ولعب الفريق أمام الطليعة بحلب تحت قيادة "وجهي العملة الواحدة"، وخسر، واتبعها بأخرى أمام أمام الوثبة في حمص، في الجولة الفائتة التي غاب فيها عضو الإدارة، مشرف الكرة، مجد حمصي، عن مسرح العمل والمسؤولية بعد استقالته من مهمته على خلفية حادثة اعتدائه على اللاعب، محمد ريحانية، ما دعا الإدارة – التي أصبحت تحت الضرب – للخروج باجتماع مع أعضاء النادي يهدف لمراجعة خطة العمل التي تم التصريح عنها سابقاً، وما أنجز من بنودها.

مسؤولية الكادر

رئيس النادي، المهندس باسل حموي، أكد في منطلق حديثه عن واقع فريق القدم الأول بالنادي أن الإدارة أمّنت جميع طلبات الجهاز الفني الذي اختارته لقيادة الفريق – وكان على رأسه الكابتن مهند البوشي – ولم تتدخل بالخيارات التعاقدية مع اللاعبين، ومنها لاعبا الخبرة من خارج النادي، كعمود فقري للفريق، والتي يتحمل الكادر الفني مسؤوليتها، ووفرت له فرصة المشاركة في دورات ودية، للوقوف على واقع الفريق بشكل عملي، وتحديد خيارات التشكيل وتصفية الأخطاء. وأشار الحموي إلى مناقشة الإدارة للكادر في ملاحظات نفور اللاعبين من بعضهم، وأنهم ليسوا على قلب واحد، وهو ما تبين لها من خلال مرافقة الفريق في سفرات الدورات الودية، وكانت التطمينات تأتي حينها بأن الفريق سيكون في "شكل آخر"، ووضع آخر في المباريات الرسمية.

وبين الحموي، بكل شفافية، الحالة غير الصحية التي تخيم على واقع فريق النادي الأول لكرة القدم، وحاجته للمعالجة النفسية في ظل حالة التفكك والتنافر بين اللاعبين، ما انعكس على النتائج رغم أنه (الفريق) معقول من الناحية الفنية – كما يؤكد الحموي – وما يحتاجه هو تنقية أجوائه الداخلية من خلال تحسين العلاقة بين اللاعبين، واضفاء المحبة الغائبة بينهم، لتأتي بعدها خطوة توليفه فنياً بالصورة المناسبة التي تتحقق معها النتائج الإيجابية.

عصا سحرية

وأوضح الحموي أن عودة فريق النادي إلى السكة الصحيحة لن تكون بضربة عصا سحرية، بل تحتاج للوقت وتضافر الجهود وتعاون اللاعبين الذين تم إيفاؤهم مستحقاتهم الشهرية بعد التشاور مع الجهاز الفني رغم النتائج المخيبة، من باب سد الذرائع، وانتظار صحوة وردة فعل إيجابية حقيقية تعيد مياه الفريق إلى مجاريها التي تصب في جدول الترتيب وترفعه درجات على السلم.

وأشار رئيس نادي الاتحاد إلى وجود أيد عابثة من خارج محيط الفريق، مردفاً بأن القضية أكبر بكثير من جزئية الريحانية، فهناك البعض ممن كانت لهم مهام فنية، في فترة سابقة، من أعضاء النادي، يحاولون عرقلة مسيرة النادي والفريق، ومراودة اللاعبين الشبان الصاعدين من الفريق الأول، وحتى الشباب والناشئين، من خلال محفزات متعددة، مستغلين حاجاتهم وظروفهم التي لم تتوان الإدارة – والقول للحموي – عن متابعتها مع مدربي الفئات العمرية، وتقديم كل ما يمكن لمساعدتهم.

طربوش العفش

وفي إطار الحديث عن كرة القدم، كانت الجزئية الأكثر أهمية علاقة رئيس النادي السابق، محمد عفش، بكل ما يجري، ومسؤوليته غير المباشرة عنه، إذ أوضح رئيس النادي أن كل ما قامت به الإدارة من تحركات جوهرية، في ملف كرة القدم، كان بمعرفة ومشورة العفش، الذي كان قد اقترح وجود مجد حمصي في الإدارة. كذلك اقترح بعض أسماء أعضاء الإدارة الحاليين، وطالما كان – أي العفش – وبعد كل مباراة للفريق الأول لكرة القدم، على اتصال مباشر ومطول مع عضو الإدارة جميل طبارة للنقاش والاستئناس بالرأي وقراءة السطور وما بينها، وهذا ما يضع العفش – حسب بعض المنظرين – أمام مسؤولية الخطر المحدق بوقوع كارثة تاريخية، هي الهبوط للدرجة الأولى؛ لأن العفش، عن بعد، هو من قرر ونصّب، في حين تنظر إليه شريحة واسعة من جمهور الاتحاد كبارقة أمل، لكن تصريحات رئيس النادي الحالي المتأخرة ألبسته طربوش المسؤولية، ووضعت رجيله بـ "فلق" المسؤولية المشتركة مع الإدارة!

منشآت "مسيّبة"!

وفي الجانب المنشآتي، تحدث الحموي عن واقع مزر كانت فيه منشآت النادي مهملة و"مسيّبة" – كما وصفها – ولا يوجد مأوى تدريبي لأي لعبة من الألعاب، من ملعب النادي المهجور الذي أخذت الإدارة الموافقات الرسمية على تحويل أرضيته للعشب الصناعي ليتسنى استثماره بصورة أفضل، إذ يوفر عشر ساعات تدريبية في اليوم بدل ست ساعات أسبوعية، إلى تأمين كراسي حمراء لمدرجاته وصيانة البنية التحتية له، إلى الصالة متعددة الأغراض المتوقف العمل بها بعد عشر سنوات من وضع حجر الأساس لمشروعها، وسنتين على تشييد هيكلها دون متابعة، والتي ستستأنف الأعمال فيه ا قريباً جداً لتكون الحاضنة للعبة كرة السلة بجميع فرقها، كذلك بقية الألعاب.

فوائد مركبة

وأشار المهندس حموي إلى الفوائد المركبة – الاستثمارية المادية، والرمزية والاجتماعية – لمشروع متحف ومتجر النادي، بما ينعكس على الواقع الفني الرياضي. ونوه إلى المشروع الاستثماري الكبير المشترك مع الشركة الراعية للنادي، والذي سيوفر عائدية مالية تحقق الاكتفاء الذاتي للنادي مستقبلاً.

أما الناحية التنظيمية، فقد أوضح رئيس نادي الاتحاد بأنه تم ترتيب الفوضى مع عدم وجود هيكلة في الوظائف الإدارية، وكل ذلك تم ترتيبه بجهود أشخاص في الإدارة بذلوا جهوداً تطوعية جبارة خلال أربعة أشهر من العمل تفوق عمل سنوات.

أما آخر المستجدات التي تلت اجتماع الإدارة مع أعضاء النادي فهي اجتماع جديد أعقب خسارة الفريق الأول لكرة القدم أمام الوثبة في حمص، وحطمت من خلاله رقماً قياسياً ربما يدخل فيه نادي الاتحاد موسوعة غينيس؛ إذ تم قبول استقالة الكادر الفني والتدريبي لفريق رجال كرة القدم، وتكليف المدير الفني في النادي، الكابتن أحمد هواش، لتسيير أمور فريق رجال كرة القدم في الدوري، ومتابعة التمارين والمباريات لحين التعاقد رسمياً مع مدرب للفريق.

الموت يسجل هدفه الأخير في مسيرة الأسطورة الأرجنتينية ويترك كرة القدم بلا ساحر

"البعث الأسبوعية"
- مؤيد البش

"مارادونا أفضل من كرة القدم نفسها"، بهذه الكلمات التي نطقها النجم الإيطالي اليساندرو ديل بييرو يمكن تلخيص حياة أسطورة كرة القدم العالمية دييغو مارادونا الذي رحل عن عالمنا منذ أيام تاركاً وراءه إرثاً كروياً يصعب تقليده، وليس الوصول إليه.

"الفتى الذهبي"، أو "الإعجوبة الثامنة"، أو "الظاهرة"، وغيرها الكثير، هي أسماء أطلقت على مارادونا في مشواره الذي دام في الملاعب نحو عقدين من الزمن؛ وكأي مبدع، خط الأسطورة طريق نجاح مميز زينه بروعة كروية وسحر ندر مثيله سابقاً ولاحقاً.

عموماً، سواء أحب المرء كرة القدم، أم لا، فإن من المؤكد أنه سيحب مارادونا باستثنائيته ومتعته وعجرفته وعصبيته وطيبته التي حولته إلى أيقونة لن ينطفئ ذكرها ولو بعد حين.

موهبة لا تصدق

بداية الطريق للأسطورة لم تكن مفروشاً بالورود، وقد كشف مارادونا بعضاً من جوانبها في مذكراته التي قال فيها: "في منتصف عام ١٩٦٩، قال لي صديقي جويو أن نادي أرجنتينوس جونيورز، بالدرجة التاسعة، فتح الباب لاختبارات الناشئين، وسألني إن كنت أريد الذهاب، فأخبرته أن علي أن أسأل والدي أولاً. كنت أعرف أنني إذ طلبت ذلك من أبي فإنه سيضطر لإيصالي ودفع المال. ركضت فرحاً لمسافة ثلاثة كيلومترات، حتى وصلت إلى بيت صديقي جويو. انقطع نفسي حتى طرقت بابه، وأخبرته أن أبي سمح لي بالسفر لإجراء الاختبار. قطعت مسافة طويلة بين بلدتي، فيوريتو، حتى وصلنا إلى لاس مالفيناس، حيث يتدرب أرجنتينوس جونيورز، وحين وصلنا كانت تمطر بغزارة. أخبرونا أنه لا يمكننا التدرب بسبب حالة الملعب وقفنا نبكي وسط الأمطار المتهاطلة من الإحباط، وغرقنا في الوحل. قسمونا لفريقين، لعبت بجانب جويو رغم أننا كنا نلعب ضد بعضنا في الحي دوماً، لعبنا بانسجام شديد، كنت أراوغ الجميع، أمرر الكرة من بين أقدامهم، أقوم بحركة المظلة من فوقهم، أمرر بالكعب، وسجلت هدفين. لم يصدق المسؤولون عن النادي أنني في التاسعة من عمري، تقدم المدرب نحوي بعد المباراة، وسألني إن كنت حقاً من مواليد الستينيات، لم يصدقني، وطلب مني أوراق هويتي، ولم يصدق إنني طفل في التاسعة".

تدرج سريع

انطلاقة ماراداونا مع أرجنتينيوس، ورحلته معه التي دامت حتى عام ١٩٧٩، لحقها خطوة كبيرة تمثلت بانضمامه لأقوى أندية الأرجنتين - بوكا جونيورز - ليستطيع كتابة فصل مميز، حيث شارك معه في ٤٠ مباراة، وسجل له ٢٨ هدفاً، ونجح في الفوز معه بلقب الدوري الأرجنتيني، عام ١٩٨٢، وكأس أندية أبطال الدوري لقارة أمريكا، وكأس الانتركونتيننتال.

هذه الأرقام جعلت أكبر أندية أوروبا تلاحق الفتى الموهوب، وفي مقدمتها برشلونة الذي بقي يفاوضه لأكثر من أربعة سنوات حتى حصل على توقيعه، بعد مونديال "إسبانيا ١٩٨٢"، بمقابل قياسي، في ذلك الوقت، قدر بخمسة ملايين جنيه إسترليني. لكن ما كان منتظراً من لاعب بقيمة الشاب الأرجنتيني لم يتحقق، حيث قدم مارادونا موسمين جيدين للغاية، على الرغم من تعرضه لإصابة قاسية جداً أبعدته لستة أشهر، ولكن سهراته وسلوكه في بعض المواقف جعلت مسؤولي برشلونة يوافقون على بيعه، مع العلم أنه لعب بقميص البارسا في ٣٦ مباراة، وسجل له ٢٨ هدفاً، وتوج معه بكأس إسبانيا.

الموج الأزرق

عدم نجاح مارادونا في برشلونة لم يعقه من استكمال رحلته الأوروبية، بل اتخذ خطوة - وصفت بالتاريخية - حين انضم لصفوف نابولي الإيطالي، الذي كان ينتظر النجم الأرجنتيني على أحر من الجمر، ليرصع تاريخه بلقب محلي وآخر أوروبي.

هذا الانتقال غير حياة مارادونا الذي تحدث عن كيفية توقيعه على عقد وصوله للنجومية، برفقة الفريق السماوي، والأجواء التي لازمته حينها، قائلاً: "كان نابولي مهتماً بي منذ كنت ألعب في الدوري الأرجنتيني، عام ١٩٧٩. أرسلوا لي قميصاً إلى فندق كنا نعسكر به، مرفقاً برسالة قصيرة تقول: "نحن في انتظارك"، ووجهوا لي الدعوة للسفر إلى هناك، وقضاء ١٠ أيام بخلاف برشلونة، لم تكن لدي أي معلومات عن نابولي. كنت أظنه شيئاً إيطالياً عادياً، كالبيتزا، أو المافيا؛ وحتى عندما قدموا لي عرضاً، وأنا في برشلونة، لم أكن أعرف عن نابولي أي شيء! كنت أفكر في شيء واحد فقط، وهو الرحيل عن إسبانيا، والرحيل عن كاتالونيا. نابولي كان الوحيد الذي تقدم لي بعرض لكي انضم لصفوفه! توجد أسباب أخرى بالطبع، فبرشلونة باعني لنابولي لأنه رأى أنه فريق صغير لا يمكن أن يكون منافساً مباشراً له على الصعيد الأوروبي".

في الخامس من تموز عام ١٩٨٤، بدأت رحلة مارادونا الفعلية مع نابولي، ومنذ ذلك الحين نصب نفسه ملكاً مطلقاً على مدينة الجنوب الإيطالية التي وقفت لاحقاً معه، أثناء المونديال الذي استضافته إيطاليا عام ١٩٩٠.

تغيير جذري

الوصول لإيطاليا جعل الأسطورة يغير من طريقة حياته، فزاد الاعتناء بجسده ليناسب طريقة الدوري الإيطالي لأن المدافعين في إسبانيا يلجأؤون للعنف دائماً، ولكن الرقابة في إيطاليا تكون أنموذجية بفضل القوة البدنية للمدافعين.

اختلاف الدوريين فهمه مارادونا، مدركاً أن المعركة في إيطاليا لن تكون رياضية فقط، وسط صراع محتدم بين الشمال والجنوب، وبالتالي: العنصريون ضد الفقراء. وبالتالي فإن إمكانية النجاح السريع لم تكن واردة، لذلك حقق فريق الجنوب الإيطالي المركزين الثامن والثالث مرتين، في أول ثلاثة مواسم للظاهرة، قبل أن يتحقق شيء قريب من الإعجاز حين تمكن فريق الجنوب من الفوز بأول لقب خلال ٦٠ عاماً.

لكن، وكعادة أي قصة نجاح ملفتة، تكون الخاتمة غير سعيدة، حيث اضطر مارادونا للرحيل عن الفريق مع الحديث عن علاقته بالمافيا والمخدرات.

علاقة مريبة

بدأت رحلة مارادونا الكروية تتأثر منذ مطلع التسعينيات، حين نُشرت صور له مع زعيم إحدى عائلات المافيا في ايطاليا. هذه العلاقة أكدها الفتى المشاكس، مبيناً أنه قبل بعض الهدايا منه، مثل ساعات وسيارات فارهة، لكنه نفى أي صلة إجرامية بينهما.

هذه الجزئية أدت لخضوع مارادونا لفحوص للمخدرات، ليتم الكشف تعاطيه الكوكايين، ولكن ذلك لم يؤثر على أدائه في الملعب، حتى جاء مونديال ١٩٩٠، لتتزايد الضغوط والكراهية ضده في إيطاليا بعد تسببه في خروجها من المونديال، خاصة أنها كانت البلد المضيف، لكن وحدها مدينة نابولي دافعت عنه حتى النهاية.

اتهامات جديدة أضيفت لمسيرة مارادونا، وهي السهر في الملاهي الليلية، ما جعله يخرج بتصريح غريب: "هذا لا يسبب ضرراً لأحد، فقد ذهبنا لنرقص في كازينو ليلة مباراة يوفنتوس، وفي يوم المباراة فزنا بخمسة أهداف"!

مسيرة ولقب

وإذا كانت قصة مارادونا مع الأندية يحكى عنها الكثير، فإن محطته مع منتخب بلاده كانت مليئة بالبطولات والخيبات، على حد سواء؛ فمارادونا الذي استبعد من قبل المدرب لويس مينوتي، قبيل مونديال عام ١٩٧٨، بسبب صغر سنه - حينها - عاد وشارك في مونديال إسبانيا عام ١٩٨٢، دون أن يحقق النجاح المطلوب، ليعود ويفرض نفسه نجماً أوحداً لمونديال المكسيك عام ١٩٨٦، والتي قاد فيها راقصي التانغو للّقب بفضل تألقه الملفت في كل مباريات البطولة، وخاصة في مباراة ربع النهائي أمام انكلترا، والتي سجل فيها هدفه الشهير بمهارة استثنائية، واتبعه بهدف بيده، ليعرف لاحقاً بهدف "يد الرب"!

التتويج بالمونديال كان نجاحه الأبرز، إلا أن التألق المارادوني استمر في مونديال عام ١٩٩٠، مع وصول الأرجنتين للنهائي، وخسارتها بصعوبة أمام ألمانيا، ليأتي مونديال أمريكا، عام ١٩٩٤، الذي يعتبر النقطة السوداء في مسيرة مارادونا، مع استبعاده من البطولة بعد ثبوت تعاطيه المخدرات.

عموماً، مسيرة مارادونا مع منتخب بلاده يمكن تلخيصها بخوضه ٩٠ مباراة، مسجلاً ٣٤ هدفاً، كما حقق مع منتخب الـ "تحت ٢٠ عاماً" كأس العالم، عام ١٩٧٩.

تعجب منطقي

ما حققه مارادونا - والذي يكاد لا يضاهى مع الأندية، أو المنتخب - جعل عشاق الكرة يتعجبون من عدم نيله لجائزة أفضل لاعب، أو ما يسمى بـ "الكرة الذهبية". هذا الأمر بكل بساطة يمكن توضيحه عبر معرفة القوانين التي وضعتها صحيفة "فرانس فوتبول" عند تأسيس الجائزة، عام ١٩٥٦، والتي تنص على منح الجائزة لأفضل لاعب في أوروبا فقط. ولم يقتصر الأمر على ذلك وحسب، بل يجب أن يحصل عليها لاعب أوروبي، وهو السبب نفسه الذي حرم بيليه من الفوز بها قبله أيضاً.

لكن، في عام ١٩٩٥، قررت "فرانس فوتبول" تحديث نظام الجائزة، وبات يمكن أن يحصل عليها لاعب أجنبي، لكن بشرط أن يكون لاعباً في أوروبا. وكان جورج وييا، مهاجم ميلان السابق، أول من حصل عليها، وهو لا يحمل الجنسية الأوروبية. وفي عام ٢٠٠٧، تم إقرار منح الجائزة لأفضل لاعب في العالم بغض النظر عن المكان الذي يلعب به، أو جنسيته.

وبالتالي، يمكن القول بأن الجائزة لم تتوج بمارادونا، فالجميع يؤكد أن ما قدمه يفوق كل أقرانه في الفترة التي كان يلعب بها في أوروبا.

فقير أم غني؟

بعد وفاة مارادونا، بدأ السؤال الكبير: هل يمكن مقارنة مارادونا ومهاراته بنجوم الوقت الراهن؟ وخصوصاً من ناحية القيمة التسويقية، أو الأرباح المالية؟ هذا السؤال لم تستطع وسائل الإعلام الأرجنتينية، أو الأوروبية، الإجابة عليه رقمياً، رغم كون قدرات مارادونا وعبقريته راجحة على كل من لمس الكرة على مدى العصور.

قضية ما يمتلكه مارادونا مالياً كانت لها بعض المؤشرات، منها ما حصل معه أثناء لعبه مع نابولي أواخر الثمانينيات، ودخوله في نزاع مستمر مع الحكومة الإيطالية بسبب الضرائب، مع إلزام السلطات الإيطالية لمارادونا بدفع مبلغ ٣٧ مليون جنيه إسترليني؛

كما أن عدد متابعيه على منصات التواصل الاجتماعي يقارب الأربعين مليوناً، أي أن أرباحه منها تتعدى ملايين الدولارات، فضلاً عن علاقاته المتعددة مع أبرز الشركات في القارة اللاتينية ومسيرته التدريبية التي إن لم تكن ناجحة من حيث الانجازات إلا أنها درّت عليه الكثير من الأموال، وتحديداً في تجربته الخليجية مع "الوصل" الإماراتي.

أعجوبة دينية

ولأن حياة مارادونا لم تكن عادية، لابد أن يكون ختام حديثنا عنه مختلفاً، فالنجم الأرجنتيني لم يكتف بنشر سحره الكروي، بل امتد ليلبس عباءة دينية، مع وجود ما يسمى بالكنيسة المارادونية، والتي تأسست في مدينة روزاريو الأرجنتينية عام ١٩٩٨، بعد أشهر قليلة من اعتزاله اللعب.

فمحبو اللاعب بدؤوا طقوس عبادتهم الجديدة في نهاية تشرين الأول، في ذكرى ميلاد "قائدهم الروحي". ويعد هذا اليوم أحد العيدين اللذين تحتفل بهما تلك الكنيسة، ويتجمع فيه عشاق مارادونا داخلها، وهم يتغنون باسمه أمام صوره وتماثيله، وهم يؤدون طقوساً دينية مشابهة لطقوس عيد الميلاد المجيد.

العيد الثاني لتلك الكنيسة يوافق حزيران من كل عام، وهو اليوم الذي شهد فوز الأرجنتين على إنكلترا، في ربع نهائي كأس العالم، عام ١٩٨٦، بهدفي مارادونا.

فوز تاريخي لسلتنا على إيران والتأهل الآسيوي رهن بالفوز على قطر والسعودية



"البعث الأسبوعية"
- عماد درويش

شكل أداء منتخبنا الوطني لكرة السلة للرجال في لقائه أمام منتخب إيران والفوز عليه مفاجأة سارة لكل عشاق سلتنا، وخاصة أنه جاء من خلال الانتقال من المدرسة الأوروبية إلى المدرسة الأميركية ما أدى لتغير في طريقة اللعب لينجح منتخبنا في قلب كافة التوقعات في ختام الجولة الرابعة من التصفيات الآسيوية المؤهلة للنهائيات المقبلة.

منتخبنا عرف كيف يتعافى بسرعة ويعود من جديد بعد أن تلقى خسارة مؤلمة أمام قطر (٧٢-٧٩) كادت أن تودي بحلم التأهل، لكن ما حققه اللاعبون ترفع له القبعة احتراماً، بعدما ظن الجميع أن منتخبنا فقد الأمل بحجز إحدى بطاقتي التأهل عن مجموعتنا، إلا أن العزيمة والإصرار مكنت لاعبي المنتخب والكادر التدريبي من تحقيق الفوز على أحد أقوى المنتخبات الآسيوية.

وإذا عدنا لخسارة قطر، نجد أن لها أسبابها ومن ضمنها أنها المباراة الرسمية الأولى للمدرب الأمريكي جوزيف ساليرنو، كما أن منتخبنا لم يلعب مباريات قوية في معسكره بمدينة كازان الروسية، فلعب مع فرق ضعيفة لا تتناسب مع مستوى المنتخبات التي واجهناها، ولم يستطع من خلالها مدرب منتخبنا تكوين فكرة تامة عن إمكانيات اللاعبين فتعرضنا للخسارة، لكن أمام إيران غير مدربنا من أسلوب وأداء اللاعبين، واختار التشكيلة القادرة على الانسجام مع بعضها، فكان التألق بالدفاع والهجوم وحققنا فوزاً أبقى على آمالنا بالتأهل لملاقاة كبار منتخبات القارة.

غيابات مؤثرة

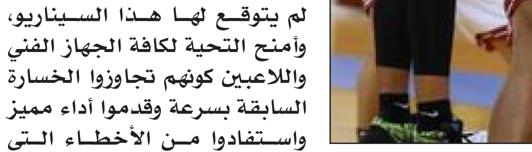
منتخبنا تعرض لانتكاسات في قطر بدءاً من غياب مساعد المدرب جيفري موريسون واللاعبين أنس شعبان وزكريا الحسين بسبب إصابتهما بفيروس كورونا، وبالتأكيد استبعادهما له دور مؤثر خاصة الشعبان الذي يعد أفضل لاعب في صناعة اللعب، إضافة إلى أن منتخبنا افتقد بعض اللاعبين الذين لم تتم دعوتهم لأسباب مجهولة، وباعتقاد الكثير من النقاد أن بعض الأسماء أفضل من التي مثلت المنتخب في قطر.

منتخبنا وبعد نتائج الجولة بات يحتل المركز الثاني برصيد ٦ نقاط، مثل السعودية التي يتقدم عليها بفارق المواجهات وخلف إيران المتصدرة بـ ٧ نقاط. وكما أسلفنا يحتاج منتخبنا للفوز على السعودية وقطر ليتأهل كثاني المجموعة ولا يدخل في حسابات هو في غنى عنها.

تحسن في الأداء

آراء الخبراء تفاوتت حول نتيجتي المنتخب فمنهم من وصفها بالطبيعية والآخر اعتبرها مفاجأة من العيار الثقيل، فمدربنا الوطني هيثم جميل أكد أن المباراتين اللتين خاضهما المنتخب كانتا غريبتين بكافة المقاييس، فقد كان الأمل بالفوز على قطر وتقديم مباراة جيدة أمام إيران لكن ما حصل من خسارة مع قطر وفوز على إيران أعاد لنا الأمل بالتأهل للنهائيات مباشرة دون لعب الملحق.

وأضاف الجميل: شاهدنا تحسناً في أداء المنتخب بالهجوم والدفاع، ولا شك أن وجود اللاعب المجنس أعطى إضافة ومساحات لعدد من اللاعبين ليبرزوا. في مباراة قطر أعتقد أحد أن أهم أسباب الخسارة هو ضعف المباريات الودية التي لعبها المنتخب في روسيا، وللأسف إدارة المنتخب لم تستطع تأمين مباريات قوية نظراً للظروف الصحية (بسبب كورونا)، والمدرب لم يشكل فكرة عن إمكانيات اللاعبين بشكل كاف، وبدا ذلك واضحاً من خلال بعض التبديلات حيث لم يشارك طارق الجابي بالمباراة وأنطوني بكر لم يأخذ فرصته كاملة باللعب، مقابل وجود لاعبين لعبوا لفترة طويلة لكنهم لم يكونوا "بالفورمة"، مع الاعتماد كلياً على المجنس الذي هبط أداؤه مع نهاية المباراة، ولم نتعامل كما يجب مع أسلوب "البرس" الذي مارسه المنتخب القطري، وعليه فقد أضعنا الفوز في المراحل الأخيرة وشخصياً أحمل مسؤولية الخسارة للاعبين أنفسهم خاصة الذين يملكون الخبرة الدولية والتجارب الطويلة بالتعامل مع مثل هذه المباريات، أما مباراة إيران فأشد المتفائلين لم يتوقع لها هذا السيناريو، وأمنح التحية لكافة الجهاز الفني واللاعبين كونهم تجاوزوا الخسارة السابقة بسرعة وقدموا أداء مميز واستفادوا من الأخطاء التي وقعوا فيها.



إعادة الأمل

أما مدربنا الوطني خالد أبو طوق فأشار إلى أن نتيجة مباراة إيران إنجاز تاريخي مبيناً أن الانضباط كان عنوان المباراة مع القراءة الجيدة من قبل المدرب الذي بدأ يعرف اللاعبين في الملعب أكثر، وقام بتصحيح أخطائنا التي ظهرت في مباراة قطر، إضافة إلى أننا استفدنا من دفاع المنطقة مع تدني نسب تسديد الخصم على الثلاث نقاط، وبدا اللاعبون أكثر ثقة والجميع شارك هجومياً ودفاعياً، أما المجنس فكان علامة فارقة وقدم مستوى كبيراً، مضيفاً: خسارة مباراة قطر كانت مؤلمة، فأن تكون متقدماً وتضيع الفوز في آخر دقائق أمر لا يليق بخبرة لاعبينا، حيث كانت نسبة الأخطاء عالية، ففقدنا الكرة ٢٠ مرة في كامل المباراة، وكانت النسبة الأكبر في الربع الرابع مع دفاع "البرس"، وهذا ما لم يظهر في المباريات الودية التي لعبناها في روسيا لأن كل المباريات كانت مع فرق ضعيفة لم تضع اللاعبين والفريق تحت الضغط الدفاعي وضغط الوقت. أخيراً، أقولإن الفوز على إيران يحسب للجميع، من لاعبين تخطو الخسارة والضغوط وقدموا جهداً كبيراً، إلى اتحاد السلة الحالي الذي عمل بشكل جدي وكبير للتحضير بظروف جيدة، إلى الكادر الإداري والفني.

نقطة الفصل

من جهته المدرب زياد سابا فشدد على أن منتخبنا في المباراة الأولى لم يكن في وضعه الطبيعي وكان الاتكال على اللاعب المجنس واضحاً، ووضح عدم انسجام اللاعبين مع التركيبة التي لعبت ولعل الأخطاء الساذجة التي ارتكبت أدت إلى خسارة المنتخب الذي اعتمد على الحلول الفردية، وهذه الميزة استغلها المدرب القطري كما كشف نقطة ضعف منتخبنا وهي عدم وجود صانع ألعاب فعمد للضغط العالي.

وأكد سابا أن المباراة الثانية ورغم البداية البطيئة والأخطاء المتكررة فيها إلا أن التشكيلة كانت ناجحة بوجود الجناحين انطوني بكر ووائل جليلاتي إلى جانب المجنس، كما استفاد الكادر واللاعبين من أخطاء مباراة قطر لاقتناص الانتصار.

وتحدث سابا عن دور النجم طارق الجابي في الفوز معتبراً إياه نقطة الفصل في المباراة بوجوده كصانع العاب، إضافة لقتالية جميل وتوفيق بالإضافة إلى انسجام وائل وانطوني بالتسجيل جعل المنتخب أكثر خطورة.

«عام القمح» كفيل بالحفاظ على أمننا الغذائي وإسقاط الأوراق المتربصة بنا شراً.. تحديات تواجه التنفيذ ومقترحات لدعم عمل القطاع



"البعث الأسبوعية" ـ حسن النابلسي

لا شك أن ثمة اعتبارات دفعت وزير الزراعة لرفع شعار "عام القمح"، لها علاقة بضمان الأمن الغذائي ولاسيما في ظل ما تتعرض له بلادنا من عقوبات اقتصادية من جهة، وما تعلنه المنظمات والهيئات الدولية بين الفينة والأخرى من احتمال وقوع أزمة غذاء عالمية نتيجة انخفاض إنتاج الحبوب في عدد من الدول بسبب التغييرات المناخية من جهة ثانية، وما قد ينجم عن ذلك من ارتفاع غير مسبوق لأسعار المواد الغذائية، ما يملي علينا بالمحصلة إعادة ترتيب أولوياتنا الاقتصادية وخاصة الزراعية منها بغية تأمين أمننا الغذائي، الذي يتأتى بالدرجة الأولى من توفير محصول القمح تكتيكياً وإستراتيجياً، وبذلك نتحاشى (ويل أن نأكل مما لا نزرع) لاسيما وأن دائرة العقوبات الاقتصادية على سورية آخذة بالاتساع.

مواجهة الضغوطات

نعتقد أن أبرز ما يعزز طرح وزير الزراعة هو أن بلدنا زراعي بامتياز، ما يستوجب الاشتغال بهذا الاتجاه للحيلولة دون الوقوع في مطب الضغوطات الدولية الرامية -من خلال اللعب بورقة توريد المواد الغذائية والزراعية- إلى تمرير مشاريعها السياسية، وقد أظهر تقرير السياسة الوطنية للعلوم والتقانة والابتكار. هناك العديد من نقاط القوة يتمتع بها القطاع الزراعي لابد من العمل على تعزيزها وتسخيرها ضمن سياق الاستثمارات الزراعية منها تنوع البيئات الزراعية الملائمة لطيف واسع من المحاصيل، والتنوع في الإنتاج الزراعي والحيواني، وزيادة في المساحات القابلة للزراعة بنسبة ١,٤٨٪ نتيجة لاستصلاح الأراضي الجبلية والمحجرة وزراعتها بالمحاصيل والأشجار الملائمة بيئياً، والقدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي من محاصيل إستراتيجية كالقمح والبقوليات والقطن والزيتون، إضافة إلى الخضراوات المختلفة وخاصة (البطاطا والبندورة(، ومختلف أنواع الفاكهة)الحمضيات والتفاحيات واللوزيات) بالتوازي مع وجود صندوق التخفيف من آثار الجفاف والكوارث الطبيعية، ووجود الكوادر الفنية المدربة المتخصصة.

تشخيص

في المقابل شخّص الدكتور هيثم عيسى /كلية الاقتصاد – جامعة دمشق/ أسباب تردي وضع الزراعة في سورية، مبيناً في ورقة عمل حملت عنوان "هل أثرت الحرب وقانون قيصر بمفاعيل رجعية في قطاع الزراعة السوري" أن هذه الأسباب تتمثل بقصور الخطط والإستراتيجيات الاقتصادية الكلية وفشلها في إنجاز هدفين تنمويين أساسيين الأول تطوير قطاع الزراع واستنفاذ إمكاناته، والثاني تطوير القطاعات الأخرى وبشكل خاص الصناعة التحويلية بحيث يستوعب هذا الأخير منتجات الزراعة ويقوم بتصنيعها وكذلك يؤمن مدخلات مختلفة مهمة لها مثل الأدوات والآلات الزراعية والأسمدة وغيرها، إضافة إلى ضعف التخطيط الاقتصادي القطاعي على مستوى قطاع الزراعة وعدم وجود رؤى تنموية طويلة الأجل لهذا القطاع، الأمر الذي أدى إلى حصول إخفاقات كثيرة كـ"مشروع تطوير الغاب، ومشروع تطوير الحمضيات" وغيرها، إلى جانب تراجع مشاركة القطاع العام في النشاط الزراعي بنسبة ٥, ٠٪، مقابل سيطرة القطاع الخاص بنسبة ٥, ٩٨٪.

تقاطع ولكن

وفي الوقت الذي تقاطع فيه تقرير السياسة الوطنية للعلوم والتقانة والابتكار مع ما بينه عيسى لجهة أن الاستثمار الخاص يشكل العمود الفقري للقطاع الزراعي حيث تبلغ نسبته ٥, ٩٨٪ من إجمالي مقابل ١٪ للقطاع المشترك و٥, ٠٪ للقطاع العام، أكد تقرير السياسة الوطنية أن الموارد الأرضية لا تزال تواجه الكثير من التحديات كتحويل استعمال بعض الأراضي إلى استعمالات بديلة، وتعرض بعض أجزاء الأراضي لتدهور الخصوبة والتملح والتلوث نتيجة الظروف المناخية الطبيعية من جفاف وقلة الهطولات المطرية، إضافة إلى العامل البشري غير المدرب وعمليات التكثيف الزراعي، وعدم الالتزام بالدورات الزراعية المناسبة، وبالتالي انخفاض الإنتاجية، مما يتطلب إعادة استصلاح هذه الأراضي وتأهيلها ومعالجة مشكلة تفتت الحيازات الزراعية لكونها تعيق الاستثمار والمكننة واتخاذ خطوات جادة للحد من هذه الظاهرة.

غياب التنظيم

وبالعودة إلى ما أثاره عيسى خلال عرضه للورقة التي قدمت في ورشة عمل حول "الأزمات المعيشية والاقتصادية في ظل الحصار الاقتصادي" فقد أشار إلى غياب روح التنظيم وريادة الأعمال والاستثمار عن المشاريع الزراعية، وهيمنة أسلوب الزراعة الأسرية والتربية "السرح" للثروة الحيوانبة، وضعف إمكانات التمويل الزراعي المتاحة، وإهمال التسويق الزراعي المحلي والخارجي وتحكم القطاع الخاص "تجار سوق الهال" بأنشطة التسويق الزراعي، وضعف سياسات الدعم الزراعي وعدم فعاليتها، وعدم وصول الدعم إلى مستحقيه، وتجاهل المخاطر المتعددة التي تواجه النشاط الزراعي، وغياب تام لأنشطة التأمين الزراعي، وعدم استقرار أسعار مدخلات الزراعة وتقلبها وارتفاعها، مثل أسعار الوقود الكهرباء والأسمدة وغيرها، وعدم توفرها بشكل دائم.

ودعا عيسى إلى ضرورة وضع خطط التنمية الاقتصادية واستراتيجياتها على أساس تحقيق النمو المتوازي والمترابط بين قطاعي الزراعة والصناعة التحويلية، واتباع أسلوب التخطيط طويل ومتوسط وقصير الأجل للاستثمار الزراعي، مع إصدار قوانين مناسبة خاصة بالاستثمار الزراعي، من أجل المحافظة على المساحات المزروعة حالياً وزيادتها مستقبلاً، مشدداً على تحفيز مأسسة العمل الزراعي ووضع السياسات المناسبة لزيادة العائد الاقتصادي على المشاريع الزراعية بما يكفل رفع قيمة ريع الأرض بالنسبة إلى سعرها وذلك للحد من تفتيت الحيازات الزراعية وبيع أجزاء من الأرض، وتصميم سياسات فعالة للتمويل الزراعي من أجل القدرة المالية للمزارعين على شراء التقنيات الحديثة المكلفة، وتصميم برامج ومنتجات تأمين تناسب العمل الزراعي وتحقق الاستقرار للمستثمر الزراعي عند حدوث مخاطر أياً كان نوعها.

مقترحات

في حين خلص تقرير السياسة الوطنية للعلوم والتقانة إلى جملة من المقترحات العامة لتطوير قطاع الزراعة أبرزها تشجيع البحوث في مجال البيئة الزراعية والصناعات الزراعية الغذائية، وزيادة الإنتاجية الرأسية لكافة المحاصيل الزراعية باستخدام حزمة متكاملة من المدخلات، إضافة إلى تطوير منظومة عمل الإرشاد الزراعي وتعزيز التنسيق مع البحوث والتعليم وتأهيل المرشدين لتمكينهم من تنفيذ البرامج الإرشادية المتخصصة ونقلها إلى المنتجين مع التركيز على الخدمات المساندة للإنتاج والقيام بالبحوث الزراعية اللازمة لإنتاج الأصول النباتية والعروق الحيوانية الجيدة والبدائل المطلوبة وتوزيعها على الفلاحين.

خروج مساحات

أسباب عديدة ساهمت بخروج مساحات زراعية، وهناك شواهد كثيرة تدلل على هجران كثير من المزارعين لأراضيهم الزراعية إما مؤقتاً أو بشكل دائمأحد المزارعين بيّن لـ"للبعث الأسبوعية" أنه يفكر ببيع أرضه والاستعاضة عنها بأي مشروع تجاري، وذلك لعدم جدوى الإنتاج الزراعي، لدرجة أن المردود السنوي لها لا يغطي تكاليف الإنتاج، مؤكداً أنه غالبا ما يترك إنتاجه في الأرض دون تسويقه كون أن أجرة السيارة التي ستنقل المحصول إلى سوق الهال أعلى من قيمة بيع المحصول ذاته.

مزارع آخر أقدم على قلع ما يقارب ٥٠٠ شجرة زيتون نظرا لارتفاع تكاليف إنتاجها وعدم توفر المياه اللازمة للري، ناهيكم عن صعوبة تسويق زيت الزيتون وانخفاض أسعاره التي تكافئ – في أحسن الأحوال- تكاليف إنتاجه.

في المقلب الآخر هناك كثير من المزارعين لا يزالون متمسكين بأراضيهم ومصرين على جدواها الاقتصادية دون أن يخفوا التحديات التي يواجهونها وفي مقدمتها ارتفاع أسعار حوامل الطاقة والأسمدة وأجور النقل، إلى جانب التغيرات المناخية والأمراض والأوبئة النلجمة عنها، معتبرين استمرارهم بالاستثمار الزراعي في كل المواسم من شأنه أن يشكل رافعة مالية لهم، بمعنى أن الخسارات ليست متتالية، فالمزارع ربما يخسر في موسم أو موسمين لكنه يحصل على هوامش أرباح لا بأس بها في مواسم أخرى.

تحليل

وفي هذا السياق يظهر تحليل الواقع العام لقطاع الزراعة نقاط ضعف هذا القطاع المتمثلة بعدم مواكبة القوانين والتشريعات لعملية تطور الإنتاج الزراعي وعدم كفاءة تطبيق بعضها، وانخفاض نسب تنفيذ استصلاح الأراضي في مشاريع التشجير المثمر، وضعف الموارد المالية وتخوف المستثمرين من التوجه للقطاع الزراعي بسبب عامل المخاطرة وطول فترة الاسترداد، إلى جانب ضعف الحلقات التسويقية المختلفة وعدم دخول القطاع الخاص في إقامة مؤسسات وشركات تسويقية رائدة، وعدم وجود إستراتيجية للاستفادة من الميزة التنافسية لبعض المنتجات الزراعية السياسة، ليقدم تقرير السياسة الوطنية عدداً من الفرص التي يمكن الاستفادة منها لتطوير القطاع الزراعي كتنامي التعاون والتنسيق مع الجهات والمنظمات العربية والإقليمية والدولية ذات الصلة بالزراعة، بالتزامن مع تبوأ تنمية القطاع الزراعي أهمية كبيرة في أولويات الحكومة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في سورية، واهتمام الحكومة بزيادة الاستثمارات الزراعية ودعم البنية التحتية الزراعية، وتطور البحث العلمي الزراعي والإرشاد والتعليم والتأهيل وتوطين التقانات الحديثة.

مشهد مضطرب

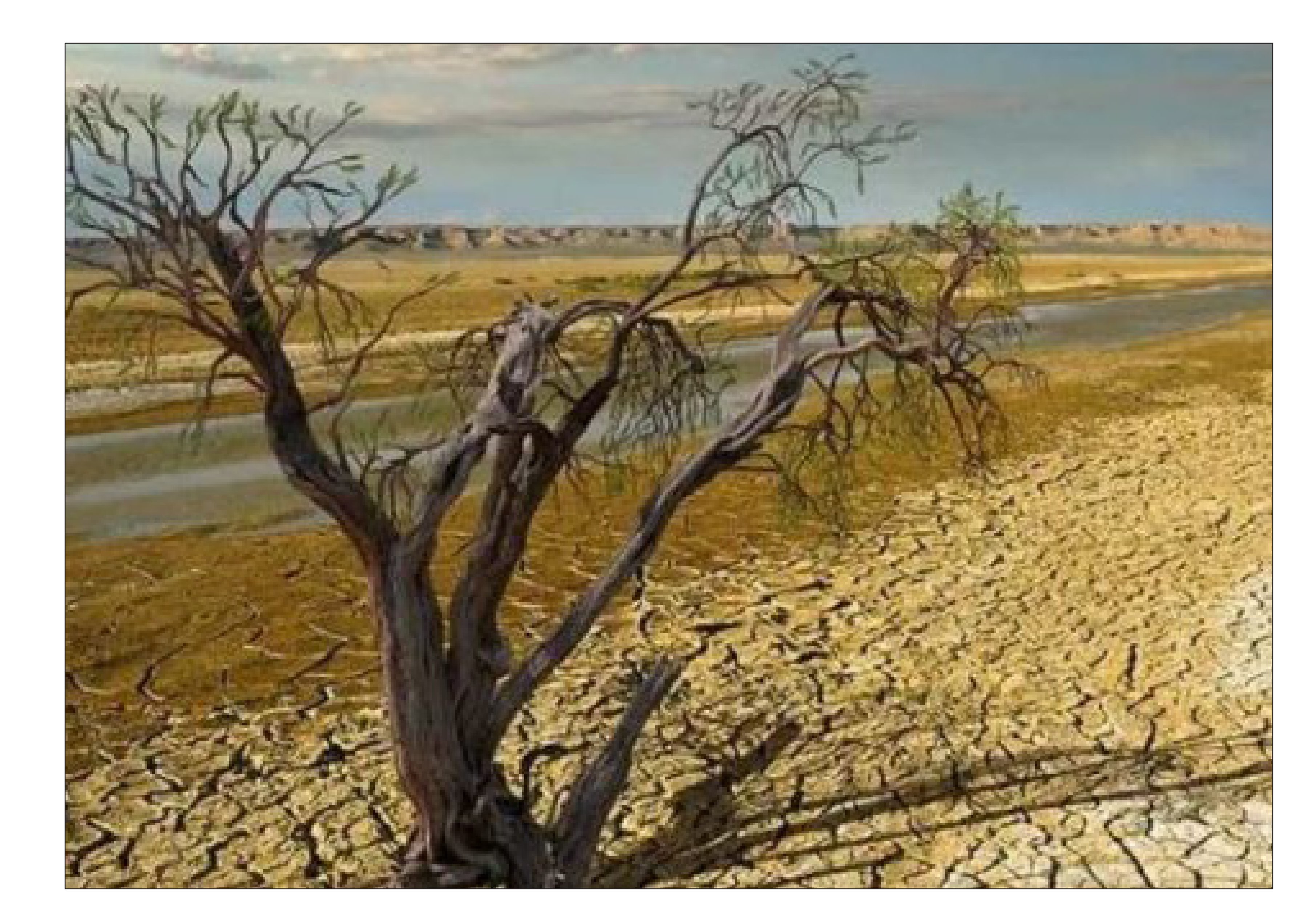
أمام هذا المشهد المضطرب بتحدياته وإشكالياته، يركز المهتمون بالشأن الزراعي على تجاوز التحدي المتعلق بتوسيع زراعة القمح، وهنا يطرح أحد المهندسين الزراعيين فكرة التركيز على المحاصيل الإستراتيجية وعلى رأسها القمح لاعتبارات تتعلق بالدرجة الأولى بالظروف المناخية، معتبراً أن هذا الأمر إستراتيجي بامتياز في ظل ما تعيشه البلاد من أزمة خانقة، وما تشهده المنطقة من حالة جفاف تملي علينا ترشيد وإدارة مواردنا المائية بكل ما أوتينا من قوة، فبلدنا مشهور بزراعة الحبوب ولاسيما القمح القاسي، ولابد من المحافظة على هذه الثروة حفاظاً على أمننا الغذائي وسد احتياجات السوق، مبدياً خشيته من الوصول لمرحلة لا نستطيع خلالها تأمينها حتى لو امتلكنا الإمكانيات المادية اللازمة لشرائها، مشيراً إلى أنه في عام ٢٠٠٨ أحجمت بعض الدول عن تصدير الأعلاف لتأمين احتياجاتها على المدى المتوسط، ما أدى إلى ارتفاع أسعارها بشكل ملحوظ في سوقنا المحلية نتيجة صعوبة تأمينها، وأضاف أن الجدوى الاقتصادية لزراعة القمح أكبر من زراعة كثير من المحاصيل، وأقل استنزافاً لثروتنا المائية، ولا ضير من الاستغناء عن بعض المحاصيل التي لا يشكل غيابها عن المشهد الزراعي والاستهلاكي أي تهديد للأمن الغذائي، بل ويمكن استيرادها عند الضرورة دونما عناء.

الخلاصة

مما سبق نخلص إلى أن الظروف الحالية تستوجب المفاضلة بين منتجاتنا الزراعية وتحديد أولوياتنا بما يدعم أمننا الغذائي، ولا يختلف اثنان على ضرورة أن يتصدر القمح سلم هذه الأولويات، خاصة في ظل مخاوف من خروج بعض المساحات الزراعية من الإنتاج نتيجة ما تعانيه البلاد من تحديات ليست بالقليلة وبالذات مناطق المحافظات الشمالية المغذي الرئيسي لمحصول القمح، وما شعار "عام القمح" إلا خطوة في هذا الاتجاه، خاصة بعد أن ارتفعت أصوات المطالبين بتوسيع مساحات إنتاج هذا المحصول ولو على حساب محاصيل أخرى كالخضروات التي تستنزف الثروة المائية، ويبرر أصحاب هذه الأصوات نظرتهم هذه بأن الجدوى الاقتصادية من إنتاج - البندورة على سبيل المثال – أقل بكثير من إنتاج القمح، كونها تستهلك نسبة كبيرة من مواردنا المائية، وتصديرها يعني بشكل أو بآخر تصدير ثروتنا المائية بأبخس الأثمان، ناهيكم عن أن هذا المُنتَج غير إستراتيجي ويمكن الاستغناء عنه، على عكس القمح تماماً.

جعجعة وقائية تدين المؤسسات وواقع لا يخدم المواجهة مع كورونا

نعمان: لابد من رؤية مستقبلية للتعامل مع التحديات البيئية



"البعث الأسبوعية" ـ بشير فرزان

الاعتراف بالتلوث البيئي وتعدد أشكاله وأنواعه بات الحالة الأكثر واقعية على صعيد البيئة، ولكن ما قيمة الاعتراف مع استمرار تسلل الملوثات إلى أجساد أولادنا، وبشكل يهدد صحتهم وحياتهم؟! قبل أن نسأل الجهات المعنية، علينا أن نسأل المواطن عن دوره ومسؤولياته لمواجهة حالات التلوث في ظل التعاطي السلبي مع حملات التوعية البيئية وعدم التقيد بالتعليمات والإرشادات، وبشكل حوّل فاعلية النهج التوعوي الفعال الذي يخدم البيئة النظيفة إلى سراب، وجعل العمل البيئي بالنسبة له كمن يسمع جعجعة ولا يرى طحناً، وخاصة في هذه الظروف التي تزداد فيها المخاطر الصحية نتيجة وباء كورونا الذي يحصد المزيد من الأرواح.

العقود الأخيرة

لم تكن بيئتنا بخير خلال السنوات الماضية، سواء قبل الأزمة، أم خلالها، بل كانت مريضة تعاني من الملوثات والانتكاسات البيئية التي نقطف الآن تداعيات إهمالها وتجاهل واقعها. هذه الخلاصة حملناها معنا إلى مديرية البيئة في وزارة الإدارة المحلية، حيث كان لقاؤنا مع الدكتور أحمد نعمان مدير البحوث البيئية الذي كان له بعض الملاحظات على رأينا، ولكن هذا لم يمنع التوافق حول الواقع البيئي الحالي لناحية الأضرار التي تكاثرت في خضم الأحداث التي بدأت منذ عشر سنوات، كما تمسك الدكتور نعمان بموقفه من أن البيئة حظيت - ولازالت تحظى - باهتمام كبير من خلال إدماج البعد البيئي في خطط الحكومة، إلا أنه لابد من إجراء التقييم البيئي المتكامل للوقوف على الوضع الراهن، ووضع الخطط اللازمة لتحسين الإجراءات المتخذة في سبيل حماية البيئة.

ولفت نعمان إلى أن ما تعرض له القطر من اعتداءات إرهابية ناتجة عن الهجمة العالمية على سورية زاد من التحديات التي تتعرض لها البيئة والضغوط التي يمكن أن تنتج عنها والآثار البيئية التي تنعكس على الإنسان بالدرجة الأولى، وعلى البيئة كنتيجة حتمية، وخاصة بعد توقف العمل في العديد من المشاريع والاستثمارات البيئية نتيجة لذلك.

رؤية مستقبلية

نعمان - الذي كان يحضر لتأسيس الفريق البيئي المعني بوضع تقرير حالة البيئة في سورية - لم يتوان عن التأكيد على أهمية وضع رؤية مستقبلية وآلية متكاملة للتعامل مع التحديات البيئية الحالية والمقبلة بصورة تضمن تقليص الضرر البيئي الناجم عن النشاط البشري، وتحد من آثار التخريب والتدمير للموارد البيئية والخدمية إلى الحد الأدنى، والسعي، بالتوازي مع ذلك، إلى إرساء دعائم مجتمع صديق للبيئة تنفيذاً للمهام الموكلة لوزارة الدولة لشؤون البيئة في قانون حماية البيئة رقم ١٢ للعام ٢٠١٢، والتي من ضمنها تقديم تقرير سنوي عن الوضع البيئي في سورية إلى المجلس الأعلى لحماية البيئة، وأوضح أنه سيتم إعداد تقرير سنوي يبين الواقع البيئي في سورية بالتنسيق والتعاون مع مختلف الجهات والوزارات المعنية انطلاقاً من مبدأ التشاركية، وإعطاء الدور للجميع للمساهمة في حماية البيئة والحفاظ على سلامتها.

الرؤية والرسالة

تفاصيل التقرير، والعناوين العريضة التي سيتم البحث فيها، لخصها نعمان - خلال حديثه معنا - بالعديد من النقاط، حيث بيّن أنه سيتم تحليل حالة البيئة بناءً على منهجية التقييم البيئي المتكامل، والتي تتضمن وضع رؤية جديدة للمواضيع والقضايا البيئية من خلال وصف حالة البيئة فيها، وبيان توجهاتها المستقبلية، وربط حالة البيئة بالعوامل المؤثرة، أو الضاغطة، أو ما يعرف بجذور المشكلة الأساسية وصولاً لوضع الخطط والبرامج والاستراتيجيات اللازمة لحماية البيئة على أساس علمي سليم موثق ومدعم بالبيانات الدقيقة.

ولفت إلى أن تقرير حالة البيئة يهدف إلى تقديم وصف علمي دقيق لحالة البيئة الراهنة في سورية ووضعه في متناول أصحاب القرار والمجتمع، وتسليط الضوء على الضغوط والتحديات التي تتعرض لها النظم البيئية والموارد الطبيعية، وتحديد أسبابها وبيان آثارها على البيئة والإنسان، بما في ذلك الأعمال التخريبية التي قامت وتقوم بها المجموعات الإرهابية على كافة الأصعدة واقتراح الحلول العامة للمشاكل البيئية استناداً إلى البيانات والمؤشرات الحديثة وبمشاركة جميع الجهات المعنية في سبيل تحقيق البيئة السليمة لرفاهية الإنسان وتقدمه.

الأوساط البيئية

وحول عناصر التقرير ومخرجاته، أكد نعمان أنه سيتم استعراض نشاطات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، واستعراض حالة الأوساط البيئية نتيجة لتأثيرات وضغوطات التنمية بكافة أشكالها على مختلف عناصر البيئة، إضافةً إلى التعرض للقضايا ذات التأثيرات المتداخلة على البيئة والإنسان، واستعراض السياسات والإجراءات المتخذة في سبيل تحسين الواقع البيئي، حيث سيخلص التقرير إلى تقديم المقترحات والخطط المستقبلية وأولويات العمل البيئي في سورية، ثم سيوضع التقرير بمتناول أصحاب القرار والمجتمع الأهلي ليعمل كل في مكانه في سبيل حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.

أما بالنسبة لخطة العمل التي تم البدء بتنفيذ خطواتها، فحددها نعمان بتشكيل الفريق الوطني لإعداد التقرير وإنتاجه، ومراسلة الجهات العامة ذات الصلة باحتياجات التقرير، وجمع وفلترة البيانات وتخزينها وتحليلها واستخلاص المؤشرات وتنسيق واعتماد التقرير(القطاع أو المورد - المشكلة البيئية - الأسباب والعوامل الضاغطة أو المؤثرة - الإجراءات المتخذة - الإجراءات والسياسات والاستراتيجيات المقترحة).

مضاعفة الجهد

من الصعب الآن في هذه المرحلة تقييم أي عمل بيئي أو الحديث عن خطوات متقدمة على صعيد مكافحة التلوث بكل إشكاله، ومن الخطأ الطعن بجدوى أي تقرير أو إطلاق حكم سابق بأن التكرار سيكون سيد المشهد البيئي، بحيث يطغى التنظير على التنفيذ، عدا عن صعوبة الحصول على بيانات صحيحة؛ وهنا نستذكر أننا، وقبل الأحداث، كانت لنا وقفة مع التلوث البيئي حيث عملنا على إنجاز تحقيق صحفي عن التلوث الهوائي الذي كان هدفنا، ولكن - كما قلنا - لم نجد في مديريات البيئة التابعة لوزارة الإدارة المحلية سوى الاعتراف بصعوبة المرحلة المتأزمة في مختلف المجالات، وحديث عام شبه غائم عن الواقع البيئي الموجود على الأرض وخاصة في مجال التلوث الهوائي.

ومن الضروري التذكير هنا - ونحن في فصل الشتاء والتدفئة - أن المواد التي يستخدمها الناس لتدفئة بيوتهم أكثر سمية وتلوثاً مع غياب المحروقات والكهرباء وارتفاع سعر الحطب، حيث يلجؤون إلى المواد البلاستيكية وغيرها من المواد الملوثة والمسرطنة لتدفئة بيوتهم وأطفالهم، وبذلك تزداد نسب التلوث الهوائي في زمن الكورونا والأمراض الصدرية الخطيرة، والجميع يعلم أن أسباب هذا النوع من التلوث تعود إلى استخدام كميات كبيرة من الوقود، سواء في وسائل النقل أو في التدفئة المنزلية أو في المنشآت الصناعية ومحطات التوليد، كما يؤثر حرق النفايات على تلوث الهواء وينتج عن ذلك الانبعاثات الغازية الملوثة للهواء، كثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد النتروجين وأول كسيد الكربون والمركبات الهدروجينية المختلفة، إضافة إلى الرصاص والعوالق التنفسية، لاسيما ذات الأقطار الأصغر من ١٠ ميكرون، والتي تخترق الدفاعات التنفسية حاملة معها المواد السامة، وبشكل ينعكس على صحة الإنسان وخاصة على الجهاز التنفسي والوعائي والقلب.

واقع الحال

حماية البيئة ومكافحة التلوث من أهم أساليب المواجهة مع وباء كورونا، وأي خلل فيها يبطل فعالية الكثير من الإجراءات الوقائية التي يصرف عليها مئات الملايين من الليرات في هذه الأيام العصيبة.

ولاشك أن هذه المواجهة الصحية والبيئية تعيش حالة من الوهن والضعف، وذلك نتيجة اختفاء الأرقام وغياب الإحصائيات عن التلوث الذي يجبرنا على الاعتراف بفشل محاولاتنا للملمة بعض المعلومات البيئية من الجهات المعنية التي وجدناها تردد ما سمعناه منها قبل عشر سنوات، دون أي جديد، وخاصة البيئي منه أما المجتمع الأهلي بجمعياته البيئية فوجدناه، مع اندثار مكوناته ومنظوماته، ينازع باحثاً عن الدعم المطلوب لتنفيذ خطته الإنقاذية للبيئة، والتي لم تخرج من دائرة الوقاية والتثقيف والتوعية غير الفاعلة على صعيد المجتمع، والتي نراها أشبة بلعبة "الطرة والنقش" الوقائية.

أقل ما يقال

أحزمة الفقر تحت مجهر الدراسة

"البعث الأسبوعية" ـ حسن النابلسي

السكن العشوائي. أحزمة الفقر. المخالفات. تسميات تتفق باصطلاحها على قضية مستعصية تعاني منها معظم دول العالم - إن لم نقل كلها – وتسعى عبر خطط وبرامج حكومية إستراتيجية إلى معالجتها وتسوية أوضاعها التنظيمية وتحسين مستوى خدماتها للوصول، في نهاية المطاف، إلى القضاء عليها، أو حصرها في الحدود الدنيا على أقل تقدير..!

في سورية، لا يزال هذا الموضوع – القديم الحديث – يفرض نفسه بين الفينة والأخرى كإشكالية حارت الجهات المعنية - خاصة الإدارة المحلية - بكيفية اجتثاثها، أو حتى الحد منها، بل إنها مستمرة بانتشارها على مرأى القاصي والداني، ما يوصد الأبواب أكثر فأكثر ويضيق الحلول لمعالجتها.

يحمل بعض المراقبين وزارة الإدارة المحلية مسؤولية غض الطرف عن تزايد الوحدات السكنية العشوائية بدايةً، والتلويح بقمعها وإزالتها لاحقاً، ما بعث في نفوس رواد المخالفات الطمأنينة بعدم تعرض مخالفاتهم للهدم، والمضي قدماً ببناء بيوتهم السكنية ومحلاتهم التجارية، لاسيما أن إجراءات الوحدات المحلية غالباِ ما تقتصر على هدم جزء بسيط من المخالفة.

مؤكد أننا لا ندعو إلى تجييش الجهات المعنية - التي ساهمت بشكل أو بآخر بازدياد هذه الظاهرة - لهدم منازل عشوائية، طالما آوت مواطنين لا قدرة لهم على اقتناء منازل فاخرة في مناطق راقية، لكننا سنحاول معرفة الأسباب الكامنة وراء ازدياد هذه الظاهرة، وما هي الخطوات التي قامت بها الجهات المعنية لمعالجة وتسوية ما تم بناؤه من ناحية، والحد من دخول وحدات سكنية جديدة تزيد المشكلة تعقيداِ من ناحية أخرى.

يتصدر ارتفاع أسعار العقارات أهم الأسباب الكامنة وراء انتشار السكن العشوائي، يليه التفاوت الإنمائي بين منطقة وأخرى، لاسيما بين الأرياف والمدن الرئيسية، ما شجع على الهجرة المحلية بهدف الحصول على فرص عمل وتحسين مستوى المعيشة إلى جانب الحصول على مستوى أعلى من الخدمات، وبالتالي فإن العمل على تحقيق التنمية المتوازنة سيثبت المواطن بأرضه ومكان ولادته، وبالتالي سيحد من الهجرة المحلية، ويخفف من انتشار السكن العشوائي، لنخلص بالنتيجة إلى أن تحقيق هذه التنمية لا يقتصر على وزارة الإدارة المحلية، بل يستدعي تضافر جهود أكثر من وزارة وجهة معنية.

ثمة مخاوف عدة تجتاح هواجس سكان العشوائيات – لاسيما القديمة - من فقدانهم بيوتهم على خلفية صدور العديد القوانين والتشريعات وتصريحات بعض المسؤولين الخاصة بتسويتها وتنظيمها. مخاوف ربما لا تخلو من مبالغة فيما لو تم تشخيص حالة المخالفات على أرض الواقع، ودراسة مواقع السكن حسب بنيتها الفيزيائية والتنظيمية الخدمية، لاسيما وأنه تمت دراسة عدة مواقع للسكن العشوائي من قبل وزارة الإدارة المحلية، ضمن رؤية تشخص واقع العشوائيات، سواء من ناحية الموقع أو من ناحية طبيعة البناء ومدى السلامة الإنشائية له؛ كما أن هناك مجموعة من الرؤى والتدخلات يمكن القيام بها لمعالجة وتسوية المخالفات، منها إعادة التأهيل والارتقاء بها، ودمج مناطق السكن العشوائي بالمخططات التنظيمية، وتثبيت الملكية تفادياً لنشوب إشكاليات اجتماعية، إضافة إلى تحسين مستوى الخدمات والبنى التحتية لها، وذلك بهدف دمجها اجتماعياً واقتصادياً مع المجتمع.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي يتوقف هدم العشوائيات على طبيعة الموقع ومدى تأثيره على سلامة السكان، وبالتالي فإن تصنيف المناطق ودراسة طبيعة التدخل هو الذي يحدد آليات التدخل، لابد التأكيد على ضرورة تنفيذ الرؤى الموما إليها آنفاً من جهة، واعتماد مبدأ التشاركية مع القطاع الخاص لحل معضلة العشوائيات، إضافة إلى وجوب وجود خطة عمل تفضي إلى نتائج إيجابية ومنطقية ترضي السكان في نهاية المطاف من جهة ثانية.

hasanla@yahoo.com

المنظومة التدريبية في سورية تحكمها الفوضى ونحتاج إلى جهة ناظمة تشرف على أداء وتنافسية القطاع

"البعث الأسبوعية" ـ غسان فطوم

أن تتخرج من الجامعة بمعدل ممتاز، في أي اختصاص كان، لا يعني أنك المفضل في سوق العمل، فاليوم تغيرت حاجات ومتطلبات السوق، فلم يعد يرضى بالشهادة الجامعية لوحدها، بل يشترط الخريجين المؤهلين والمدربين - أي الخبرة العملية من خلال التدريب المهني ما بعد التخرج بما يتناسب مع المتطلبات - لكن المشكلة أن سوق التدريب في سورية تحكمها الفوضى، بحسب رأي العديد من المختصين والمهتمين بقضايا التدريب الذين طالبوا بالعمل على وجه السرعة لإعادة النظر في المعايير والأسس التي تحكم المنظومة التدريبية في القطاعين العام والخاص، والتي دخلها أناس لا علاقة لهم بالتدريب، عدا عن أن هناك جمعيات ومؤسسات خيرية تركت مهمتها الإنسانية، وباتت تعلن عن دورات تدريبية في الخفاء والعلن طمعاً بجني الأرباح!



خبرة وجهل..!

ذلك ما يؤكده المدرب وائل الحسن، فمن وجهة نظره "لكي يكون التدريب فاعلاً نحتاج لمدربين متخصصين ولديهم خبرة طويلة في مجال التدريب والتأهيل، لأن ذلك من أهم عوامل وشروط نجاح إعداد البرنامج التدريبي الجيد والمناسب للشباب، كي يخوضوا تجربة أقرب للعمل المنتظر من خلال التدريب الميداني في المجال الوظيفي الذي يرغبون به لإكسابهم مهارات أكثر ومعرفة أفضل بأدق احتياجات الوظيفة"، مشيراً إلى أن مشكلة أكثر الشباب الراغبين بالتدريب تتمثل بجهلهم لكيفية اختيار الدورة التدريبية المناسبة لتحصيلهم العلمي والوظيفة التي يرغبونها.

زيارات ميدانية

ويرى الحسن أن القائمين على التدريب من الضروري أن يركّزوا على اعتماد البرامج ذات السوية العالية بتنظيم زيارات ميدانية لأهم المؤسسات في القطاعين العام والخاص من أجل جمع البيانات لأغلب المشاكل التي تواجه حديثي التوظيف، وعلى ضوئها يقومون بتصميم الدورات التدريبية المناسبة والتي تساهم بالمحصلة في تأهيل الشباب وفقاً لاحتياجات سوق العمل، مشيراً إلى أن بعض الشباب قد يتبعون دورات عشوائية لتوفير بعض المال لكن لا طائل منها لعدم توفر أساسيات التدريب فيها.!

منحة تدريبية

مجموعة من المتدربين من خريجي الجامعات باختصاصات مختلفة أشاروا إلى أن أبرز الصعوبات التي تواجههم في مجال التدريب هي عدم توفر التدريب الملائم لميولهم ورغباتهم، وارتفاع تكلفته، داعين إلى ضرورة إعطاء منح للشباب للانخراط بدورات تدريبية على مستوى عالٍ. وأشاروا أيضاً إلى وجود حالة من العزوف عن التدريب نظراً لغياب الرغبة والتحفيز، وغياب البرامج المتطورة التي تجمع مابين المهارة والمعرفة الأكاديمية، واقتصار مراكز التدريب على دورات موجهة لذوي القدرة المالية المرتفعة، رغم أن هناك ملاحظات كثيرة على برامجها النمطية!

فرصة ذهبية!

خالد الطالب واحد من مئات ضحايا "دكاكين" التدريب، حيث يشعر باليأس لما حصل معه، فهو تخرج من كلية الاقتصاد منذ خمسة سنوات، ولم يجد عملاً باختصاصه، وقد أضاع وقتاً طويلاً وصرف مالاً كثيراً لتطوير مهاراته وخبراته في مجال المحاسبة، لكنه اكتشف أنه لم يستفد شيئاً: "للأسف أمضيت دراستي في الكلية باجترار معلومات نظرية بعيدة عن الواقع الحالي. هذا الأمر أحبطني وأفقدني الحماس. كان كل همّي الامتحان، وليس التعلم من أجل اكتساب المعرفة والخبرة".

لم أستفد شيئاً!

ويؤكد زميله نضال - أحد الضحايا أيضاً - أنه التحق بأحد دورات التدريب الخاصة بتنمية المهارات والقدرات في مجال اختصاصه الذي درسه في الجامعة (محاسبة)، ويقول أنه لم يستفد كثيراً نظراً لعدم إلمام المدرب بعلم المحاسبة بالشكل الجيد، عدا عن عدم توفر البيئة التدريبية المناسبة داخل المركز، مستغرباً كيف يتم الترخيص لهكذا مراكز بإقامة دورات تدريبية لا تتوافق والمعايير والأسس الخاصة بذلك، علماً أنها تتقاضى مبالغ كبيرة!

التكاليف مرتفعة..!

وتشير هند المحمد إلى عقبة كبيرة أمام اتباع الدورات التدريبية المهنية، وهي ارتفاع التكاليف التي لا يقدر عليها خريج جديد ربما يكون كاهله مثقلاً بالديون نتيجة مصاريف الدراسة، مشيرة إلى أن عيادات العمل في جامعة دمشق تعطي شحنة معنوية للخريج أثناء الكورس التدريبي، لكنها لا تستطيع أن تعلمه حرفة معينة تجعل منه شخصاً مرغوباً للعمل!

وطالبت نيرمين حمزة أن يكون هناك ربط بين المراكز التدريبية المهنية في الجامعات مع المؤسسات بحيث يتم تأمين فرص عمل وخاصة للمتميزين وأصحاب المبادرات الخلاقة التي تكون نواة لمشاريع صغيرة تفسح المجال لعشرات فرص العمل.

وتساءل هيثم ونوس: لماذا لا تُحدث في سورية كلية لتنمية المهارات والقدرات، أو معهد عالٍ، بهدف توفير أيد مهنية ماهرة لسوق العمل "نحن بأمس الحاجة لها في مرحلة إعادة الاعمار"؟!

خلل واضح..!

"لولا دعم المنظمات والجهات الإغاثية للتدريب لتنمية المهارات البشرية كمهارات الدعم النفسي والاجتماعي لتلاشت منظومة التدريب الخاصة في سورية"، هذا الكلام لم يتردد بقوله الخبير الاستشاري بالتنمية البشرية والإدارية والاقتصادية، الدكتور هاني الخوري، مدير مؤسسة الرضا للتدريب والتطوير، مشيراً إلى وجود خلل في المنظومة التدريبية في سورية، حيث مرت بظروف صعبة - وما زالت - بسبب الأزمة التي تسببت بإلغاء موازنات التدريب في المؤسسات العامة، وأدت إلى شللها أو إضعافها في الشركات الخاصة، نتيجة انخفاض الدخول، ما أدى إلى تحول العملية التدريبية ودوراتها إلى رفاهية وليس من الأساسيات والضروريات التي نحتاجها اليوم لتأهيل كوادر ذات جودة عالية.

عشوائية قاتلة..!

وقال الخوري: إن دخول الجمعيات الأهلية والخيرية على خط التدريب عبر قاعات غير خاصة أدى إلى فوضى وعشوائية، حيث تعاقدت مع مدربين من دون ترخيص، ومن دون شهادات مهنية، وهو ما حرم المراكز التدريبية المعتمدة من دعم العملية التدريبية وجعل المنظومة التدريبية مأزومة: "التدريب بحاجة لمقرات مناسبة، ودعمها، وتصنيف وتقييم المدربين وضبط أدائهم". وطالب الخوري بإحداث هيئة إشرافية على التدريب منظمة وضابطة للأداء وتكون على مستوى وزارة بكل اختصاصات التدريب، وتساهم بوضع استراتيجية لبناء الخبرات والمهارات التي تزيد الإنتاجية وتعزز التنافسية: "القطاع التدريبي هو أسرع القطاعات إنتاجية وأفضلها في إعادة تأهيل الموارد للعمل والإنتاج وكسر الفجوة في دخول السوق وتأمين الاحتياجات الإنتاجية من خلال دراسة الاحتياجات التدريبية، لأنه كلما ارتقت المنظومة التدريبية صار تعافي قطاع الموارد البشرية أفضل وأقرب".

سوية البرامج التدريبية

وانتقد الخوري سوية البرامج التدريبية في سورية واعتبرها منخفضة بشكلها المأجور نظراً لضعف الدخل، مشيراً إلى أن المنظمات الاغاثية تدعم برامج تدريبية مجانية لأكثر من خمسين ساعة تدريبية وقد تصل إلى مائتي ساعة ولكن مستوى التزام المتدرب بالتدريب المجاني وفائدته غالباً ما تكون منخفضة لأنه لا يُخطط له كونه منحة وليس آلية للتميّز واستثماراً للمستقبل، حيث تتراخى المراكز التدريبية في خدمة التدريب المجاني من ناحية اختيار المتدربين وتحفيزهم وتلتزم شروط وتوجهات الجهة المانحة، "لذلك نجد أن هناك هدراً كبيراً في المنح التدريبية ودراسة الاحتياجات التدريبية وإنضاج البرامج"، وأوضح خبير التدريب أن الشباب اليوم لا يملكون الإرادة والطاقة للإبداع والتقدم بالمهارات كما كان قبل الأزمة، لافتاً إلى أننا نحتاج لتركيز ورفع سوية وأداء التدريب المهني والإداري في بما يتناسب وحاجات سوق العمل.

الحلول المتاحة

قبل الحرب، كانت سورية تحتاج سنوياً لأكثر من ٢٥٠ ألف فرصة عمل، أما اليوم، في ظل انكماش الفرص، فقد تضاعف العدد لرقم مخيف، حيث لا حلول متاحة لامتصاص طالبي العمل.

تعليقاً على هذه الحال، بيّن الخوري أن سوق العمل في سورية فيها اليوم فرص عمل كامنة، موضحاً أن عملية البناء والعمران وإعادة هيكلة الإدارات والتنمية الإدارية تحتاج لكوادر مؤهلة ومدربة وماهرة، وهذا يتطلب منظومة تدريب احترافية ذات أداء ومصداقية عالية لأن الفجوة التدريبية اليوم كبيرة، ويضيف: "سورية بحاجة إلى استراتيجية بناء موارد بشرية وخريطة خبرات ودراسة احتياجات السوق، كما تحتاج إلى جهة ناظمة وجامعة للتدريب والتأهيل بكل أنواعه ومستوياته تشرف على تنافسية وأداء المنظومة التدريبية، وبحاجة أيضاً لموازنات سخية وعالية لرفع الأداء وحفظ هيبة الأداء المعتادة بالدولة".

بالمختصر، تعاني سوق التدريب في سورية من الخلل، فالمراكز التدريبية ليست في سوية واحدة، وبعضها يتعدى على المهنة بهدف الحصول على الربح المادي؛ ومن هنا تبرز الحاجة إلى التشدد بمنح التراخيص، فالتدريب استثمار في المستقبل، وهو حجر الأساس في النجاح والتميز بالعمل، ويعطي حافزاً لتطوير الذات وتنمية المهارات إلى المستوى الذي يحقق التنافسية، ولا سيما التدريب الميداني الذي يتيح للشباب الباحث عن فرصة عمل، وخاصة الخريج الجديد في الجامعة كي يتعرف بشكل عملي على بيئة العمل الذي سيمارسه مستقبلاً لينجح فيه بدلاً من أن ينتظر بلا أمل قريب!

المناخ في سورية.. هل تغيرت مواعيد الفصول الأربعة؟!

"البعث الإسبوعية" ـ ميس خليل

لم يتوقف تأثير جائحة كورونا على الجانب الصحي في العالم، فقد تعداه إلى الكثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية والمناخية، وإن كانت هذه الأخيرة المستفيد الأكبر - بالمعنى الإيجابي للكلمة - من باقي الفئات التي شهدت خسارات، سواء بالأرواح "موت مئات الآلاف من البشر حول العالم"، أو بتدهور الاقتصادات العالمية وانكماشها، وفي كثير من الأحيان انهيارات أدت إلى الإفلاس والإغلاق التام، ولكن - كما ذكرنا - يبقى المناخ الرابح الأكبر من جائحة كورونا، حيث أدى الإغلاق الكبير الذي نفذته الدول لمواجهة التبعات المدمرة للفيروس التاجي، ولاسيما في الدول الصناعية، إلى انخفاض انبعاث الغازات السامة والضارة بالبيئة، الأمر الذي تجلى بشكل كبير في تقلص ثقب الأوزون وفق المنظمات الدولية المهتمة بهذا المجال.

أدى هذا التطور المهم إلى تغيرات مناخية كبيرة مرافقة لفصول السنة، تقديماً أو تأخيراً، فلاحظنا في منطقتنا، وسورية بالتحديد، امتداد فصل الصيف أكثر من المتوقع، حتى مع بداية الانقلاب الخريفي، حيث شهدت البلاد مرتفعات جوية أدت في تشرين الأول، مثلاً، إلى تسجيل درجات حرارة قياسية (٤٢ درجة مئوية) ساعدت، في حينها، على نشوب حرائق غير مسبوقة في تاريخ الساحل السوري مثلاً، وأيضاً مرور شهري أيلول وتشرين الأول دون تسجيل هطولات مطرية تذكر، وكأن هناك تغيراً ما حصل على الواقع المناخي، فهل هذا كله عائد إلى تأثيرات كورونا، والصفاء الذي نعمت به الكرة الأرضية، من تقلص حجم الانبعاثات السامة؟ أم أن له أسباباً أخرى؟

رئيس مركز التنبؤ الجوي شادي جاويش رأى أن سورية تتميز بأنها ضمن العروض الوسطى بوجود أربع فصول واضحة، وعندما تكون هناك انزياحات فصلية فإنها واضحة أيضاً. وأضاف أن الانزياحات التي تحصل ناتجة عن تغيير مواقع الكتل الهوائية على الكرة الأرضية، نتيجة التقلبات المناخية الحاصلة، وما جرى من تغييرات أثناء كورونا دليل على ذلك.

وأضاف جاويش: آخر عقدين في الثمانينيات والتسعينيات كان شهر تموز يسجل موجات حر عالية، لأيام معدودة، ولكن في العقدين الأخيرين - من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٢٠ - ازداد عدد الأيام التي تسجل فيها درجات حرارة عالية خلال الشهرين السابع والثامن، فكان يأتينا مثلاً أسبوعان تتجاوز الحرارة فيهما الأربعين درجة، أما في شهر أيلول فكنا نرصد تسجيل يومين أو ثلاثة تصل فيهما الحرارة إلى الأربعين، وفي هذا العام رصدنا لأكثر من ثلثي الشهر ارتفاعاً للحرارة كان الأعلى منذ خمسة عقود، كما سجلنا في فصل الربيع الماضي وصول كتل هوائية باردة متأخرة بقيت إلى مشارف الصيف.

بدوره، قال المتنبئ الجوي ماهر مرهج أن التغيرات المناخية ليست على مستوى منطقتنا، إنما على مستوى كوكب الأرض، ونتابع يومياً تقارير عن ذوبان الثلوج في القطبين، وثقب الأوزون، وغازات الدفيئة، وغيرها من القضايا المناخية غير المألوفة؛ وفي هذا السياق، رأينا حالات يمكن اعتبارها متطرفة طقسياً، كالفيضانات في مناطق ليست معهودة، وموجات حر شديدة في أوروبا، وموجات برد قارس في بعض مناطق الولايات المتحدة وكندا.

وعزا مرهج أسباب التغيرات المناخية إلى أسباب طبيعية هي خارجة عن إرادة الإنسان، ولها علاقة بالدورة الشمسية وبالدورة الهيدرولوجية على سطح الأرض، أو الدورة المائية من ناحية التيارات البحرية التي تلعب دوراً كبيراً في تأثيرها على الطقس على المقياس الزمني الطويل، ومنها أيضاً ما لها علاقة بدوران الأرض حول الشمس وميلان محور الأرض.

وبين مرهج أن هناك أسباباً ناتجة عن النشاط البشري، لاسيما بعد الثورة الصناعية، حيث عبث الإنسان كثيراً بالطبيعة، وأصبح يتدخل في التوازنات الموجودة فيها، ما انعكس على الطبيعة، وأدى إلى تغيرات مناخية الأهم فيها هو زيادة نسب الغازات في الغلاف الجوي، أو ما يسمى بغازات الدفيئة (بخار الماء، وثاني أكسيد الكربون، والميثان، وغازات عائلة السي اف سي) التي تؤثر على انعكاسية الإشعاع الأرضي، وتسمى هذه الظاهرة ظاهرة "البيت الزجاجي"، وتعمل على عكس الإشعاع الأرضي - بدلاً من أن يتسرب - خارج الأرض، ويعمل على تبريد الأرض، وتعمل زيادة نسبة هذه الغازات على رفع درجة حرارة الأرض ما يؤدي إلى انعكاسات كبيرة جداً. وفي سورية - والكلام لمرهج - أصبح الحديث عن التغيرات المناخية كثيراً في الفترة الأخيرة، نتيجة وضوح تأثير تلك التغيرات على المنطقة. وبشكل عام، لم تكن التأثيرات واضحة ولكننا - كمختصين - كنا نلحظها، على سبيل المثال، من خلال موجات الحر الطويلة، وموجات الحر في الفصول الانتقالية، والأمطار الغزيرة على مدار العام، وحرائق الغابات الكبيرة، وليس على مستوى سورية فقط، ومن خلال شح الأمطار في بعض الموسم، أو طول الموسم المطري في بعض المواسم. وقد أدت هذه التغيرات إلى انزياح فصل الصيف قليلاً إلى فصل الخريف، وتأخر الموسم المطري.

أخيراً. مع وجود أسباب مختلفة للتغيرات المناخية: زمانية لها علاقة بتغير طبيعة الأرض وتبدلها طبقاً للمتغيرات الحاصلة، ومكانية تتعلق بالإنسان ونشاطه عليها، تبقى التكهنات والتوقعات حول واقع المناخ هي الشغل الشاغل للناس، حتى لو كانت هذه الأمور غير قابلة للتصديق، أو غير ممكنة حدوث في ظروف بلد كسورية.



صراع الذات مع الآخر لا ينتهي والرواية دليل..

«البوصلة» شرقاً: إنه الخداع، أما الذات فهي الاتجاه!!

"البعث الأسبوعية"
ـ د. وائل بركات

في عام ٢٠١٥، فازت رواية "البوصلة "للروائي الفرنسي ماتياس إينار (المولود عام ١٩٧٢ في فرنسا) بجائزة غونكور للرواية الفرنسية، بعد أيام قليلة من حادثة الاعتداء المعروفة على جريدة شارلي إبدو التي ذهب ضحيتها قسم مهم من كتّابها. المحور الأساسي للرواية هو الحديث عن رؤية الغرب تجاه الشرق عبر الرحلات التي قام بها البطل فرانتس مع صديقته سارة إلى مدن الشرق الغامض للتعرف إليه، وعبر الأعمال والأبحاث التي قدمها الرحالة والمستشرقون في القرون القليلة الماضية للتعريف بالشرق وبتاريخه وبالعلاقة معه.



تنشد الرواية في وجهها المشرق الحواري ضرورة تبني فكرة الحوار بين الغرب والشرق. فكلاهما يحتاج الآخر، وصلاتهما الماضية قوية وواضحة، ولابد من استمرارها ليتعزز التفاهم بينهما، ولتنشأ روابط التلاقي والتواصل بغية تجنّب أشكال الاختلاف والصراع والعداوة. وتبرز ذلك من خلال مجموعة من القضايا، نستعرضها بإيجاز. بداية من العنوان، حيث تفقد البوصلة في هذه الرواية توجهها الطبيعي الذي يدل على الشمال، وتتخذ من الشرق وجهة ثابتة لا تتغير: "فما إن تحاول تحديد وجهتك حتى تعي أن هذه البوصلة تشير إلى الشرق وليس إلى الشمال" (٣٤٩). فكيفما وجه بطل الرواية فرانتس البوصلة يراها ثابتة في توجهها نحو النور الشرقي، وها هو في هذه الأمسية التي تستحضر مجمل حياته، وربما أيضاً تاريخ العلاقة بين الغرب والشرق، يواصل البحث عن ملجأ يلوذ به ليخفف عنه ألم انكشاف روحه، فتكون ذكرياته في الشرق حله الوحيد.

وتشير الرواية إلى اعتمادها الروح الحوارية في عنوان رسالة الدكتوراه التي تحضّرها سارة، صديقة فرانتس، والمعنونة بـ "النظرة إلى الآخر بين الشرق والغرب"، وتشرح فيها — وهي المحبّة للشرق والباحثة فيه وعنه - قناعاتها بأهمية الحوار واستبعاد الصراع. وحين تلقي أبحاثها في الندوات الاستشراقية تؤكد هذا الفهم وتدافع عنه بقوة. الموسيقّي فرانتس، من جهته، يعاني المرض والقلق والوحدة، بعد اكتشافه مرضاً خطيراً ينهك جسده، وليتجاوز ضعفه يستنجد بالموسيقى الشرقية التي أثّرت في نظيرتها الغربية وأغنتها: "أبنتُ أن الثورة التي حدثت في الموسيقى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تدين بكل شيء إلى الشرق" (١٦١). ويرى أن هذا التأثير ضروري في الحياة، فالإبداع والتميز يحتاجان إلى اللقاء مع الآخر الذي يضيف ويغني، "لقد هبت رياح الغيرية على كل أوروبا، فأخذ هؤلاء العظماء يستخدمون ما يأتيهم من الآخر، لتغيير الذات، لتهجينها، فالعبقرية تصبو إلى الهجنة، إلى استخدام أساليب الآخر لزعزعة استبداد التناغم" (١٦١). وينسحب هذا الحكم على الأدب أيضاً. فها هو بلزاك يزيّن روايته "الجلد المسحور" بنص عربي، زوده به صديقه المستشرق النمسا وييورغشتال، ليكون أول من يدرج كتابة عربية في عمل أدبي. وما كان منه إلا أن أهدى لـ بورغشتال روايته "حجرة التحف" اعترافاً منه بفضله عليه، وشكره له على ما زوده به من معلومات عن الشرق.

كما أظهر الكتاب والفنانون الغربيون في مؤلفاتهم عشقاً لـ "ألف ليلة وليلة" وللشرق، واهتماماً بهما، لا يبدأ مع غوته في الديوان الغربي الشرقي، وفي رحلة شاتوبريان، وأمسيات لامارتين، وأعمال هيجو ورامبو ونيرفال وغيرهم الكثير، لكنه أيضاً لا ينتهي بما جادت به روح الشرق على وجدان بيتهوفن وميندلسون وكورساكوف وغيرهم من الموسيقيين الأوروبيين الذين لا يزالون يدهشون بعبقريتهم أسماع العالم حتى اليوم. إنها الروح الشرقية التي لونت عالم الغرب، وانعكست فيه دهشة وسحراً، ففتّش عنها المستشرقون طويلاً. وبالمقابل دخلت "ألفَ ليلة وليلة" تأثيراتٌ غربيةٌ هي نتيجة طبيعية للتلاقي الثقافي بين الشعوب: "ها نحن مرة أخرى أمام بنيان مشترك، فعل معقد للزمن حيث يتداخل خيال بخيال آخر، إبداع بإبداع آخر، أوروبا بدار الإسلام" (٢٥٥)، فالعمل الفني كلما زادت خبراته المكتسبة كان أجود وأكثر إبداعاً وتألقاً.

وفي مجال فن العمارة، وبعد أن اكتشف البريطانيون تدمر في القرن الثامن عشر، قاموا برسم معالمها ونقلوها إلى بلادهم ووزعوها صوراً في أنحاء أوروبا، تحولت هذه الرسومات إلى نماذج لـ "الكثير من الواجهات والأعمدة النيوكلاسيكية المنتشرة وقتذاك في العمارة الأوروبية: عواصمنا تدين بالكثير إلى تيجان الأعمدة التدمرية، وثمة شيء من صحراء سورية يعيش متوارياً في لندن، في باريس أو في فيينا" (١٦٩ - ١٧٠). وبذلك اقتحمت تدمر والصحراء المحيطة بها تصاميم الأبنية الأوروبية، فأضفت عليها جمالية بديعة وغير مألوفة.

في هذا الوجه المشرق للرواية، يحاول إينار الترويج لفكرة أن الشرقَ والغربَ متداخلان ثقافياً، وأن علاقتهما سيمفونية حب وتفاهم. ويستطيعان - مبدئياً - التلاقي والتثاقف وإقامة الحوار الحضاري الذي يتم بحب الانفتاح على الآخر والتعاون معه.

بالمقابل، في الوجه الآخر المعتم، الصراع مع الشرق، تؤكد الرواية حقيقة معروفة في التفكير الغربي تجاه الشرق، تتنافى مع الصورة المثالية للحوار المعروضة آنفاً، وهي أن الصراع ناتج عن النظرة الاستعلائية المهيمنة على الفكر الغربي بوصفه مركزاً وما عداه هامش. لذلك نجد الرواية تجانب الموضوعية والواقعية حين يتطلب الأمر إبداء رأي بما يجري على أرض الشرق. فالنظرة الاستعمارية حيّةٌ إلى الآن.

دور الوصي، وجه المستعمر

انتهى الاستعمار بشكله المباشر، أو يكاد، لكنه بقي محافظاً بصورته ما بعد الاستعمارية على أفكاره السابقة. كل ما قام به هو تطوير أدواته، وتغيير وجوهه ليحقق غايته المرجوة: إحكام السيطرة على الآخر، انطلاقاً من مبدأ أن القوة تفرض نفسها، ومن فكرة تأكيد التفوق على الآخر وإرغامه على الخضوع للوصاية، وإلا فالهلاك. من هنا تتشكل نظرة الغرب إلى الآخر الشرق منسجمة مع ذهنية التميز المطلق التي تروجها السياسات الغربية تجاه الشرق، وخاصة العرب فيه. فما تراه هذه النظرة هو الحقيقة بعينها، ولو ناقضت الواقع والحقائق. لذلك يكون انعكاس الحرب على سورية في هذه النظرة بعيداً عن حقائق الواقع، ومعبراً فقط عن المصالح التي ترسمها سياسات غربية استعمارية المضمون، إنسانية المظهر، لا يهمها ما يحدث من خراب ودمار عند الآخر. فسورية الآمنة المستقرة الباحثة عن نهوض اقتصادي واجتماعي وفكري تحرري، تجد نفسها مسرحاً للإرهاب والقتل والتدمير الممنهج ليس فقط للبنى التحتية التي دفع الإنسان السوري ثمنها طيلة عقود من الزمن، وإنما أيضاً للإنسان نفسه وللتركيبة الاجتماعية المتماسكة التي جمعت أطياف الشعب السوري منذ القدم.

يقدم الإعلام الغربي الحرب في سورية وفق مصالحه، فيطلق التهم يميناً وشمالاً على وطن يدافع عن نفسه وحضارته وتاريخه وهويته فقط لأنه لا يتوافق مع رؤاه السياسية. ومع أن الرواية تعترف نصاً بأن الإرهاب الذي يخوض الحرب على سورية هو صناعة غربية بالتأكيد، جُنِّد لتخريب المجتمعات قبل تدمير العمران، لكنها أيضاً لا تتجرأ على تقديم الحقائق الموجودة على الأرض، فتعتمد في مواضع عدة الخطاب الإعلامي السائد في الغرب. ولولا هذا الاعتبار، لكانت قد أشارت إلى دور السوريين الوطنيين في مواجهة هذه القوى الإرهابية والظلامية التي صنّعها الغرب ودربها ومولها وأطلقها، وهذا ما يعرفه السوري جيداً، تقول الرواية إنه: "إسلام متطرف، عنيف وحديث العهد، أبصر النور في أوروبا وفي الولايات المتحدة، قنابل غربية (-) مساكين السوريون مصيرهم لا يثير اهتمام وسائل إعلامنا إلا قليلاً جداً" (٣٠٨).

وبعد هذا الوجه المستهجن، تتابع الرواية تجسيد الآثار السلبية لسياسة الغرب الاستعلائية والاستغلالية تجاه هذا الشرق المسكين المتعثر في جوانب كثيرة من حياته وتاريخه، ومن ذلك:

السطو على آثار الشرق

لاشك أن بين المستشرقين من أسهم في السطو على آثار الشرق الذي لم يعرف كيف يحافظ على ممتلكاته الخاصة، وتاريخه العريق ذي الطابع الحضاري والإنساني العالمي. ويحق لنا أن نتساءل هنا : كيف تغص المتاحف الأوروبية بالآثار الشرقية وبالمخطوطات العربية، وتحرم منها متاحفنا ومكتباتنا؟ فالحقيقة كما يذكرها المستشرق الألماني بيلغر "أن جميع علماء الآثار المرموقين قد لطخوا أيديهم، في وقت ما، في شؤون سياسية من المستوى الرفيع" (١٩٨ - ١٩٩). وتؤكد سارة الأمر وهي تتساءل عن موقف العمال السوريين الذين يحفرون الأرض للمستشرقين بحثاً عن الآثار المدفونة: "لدي فضول لمعرفة ما تمثله هذه الحفريات لهؤلاء العمال. هل يشعرون بأننا نسلبهم تاريخهم؟" (٧١). يربط هؤلاء المستشرقون سرقة آثار الشرق بفكرة شائعة جاهلة وغبية عند بعضهم تقول إن هذه الآثار ليست لنا طالما أنها غريبة عن الثقافة الإسلامية: "يستطيع هؤلاء المدمرون الإسلاميون المعتوهون، استخدام الحفارات بسهولة أكبر في المدن القديمة الأثرية، طالما أنهم يجمعون، إلى جانب جهلهم وغبائهم المطلق، الإحساس المنتشر إلى حد ما، بأن هذا التراث انبعاث غامض، وذو أثر رجعي، عن القوى الأجنبية" (٧٢). وكأنه إرث لا علاقة لشعب هذه الأرض به، لأنه خارج الحيز الزمني الذي لا يعترفون بسواه. لذلك دمرت هذه العقلية الآثار التاريخية والأوابد المهمة والمدن الكاملة بدم من جليد.

الصراع الديني

تضفي الرواية الطابع الديني المقدس على الصراع بين الغرب والشرق، بدءاً من الحروب الصليبية ومروراً بتلك التي قامت بين العثمانيين والأوروبيين، وانتهاءً بأوجه الصراع الحديث الذي يشغل الجانب الديني، إضافة إلى الاقتصادي بالطبع، الحيز الأكبر فيها. فالصليبي المسيحي طامع في خيرات الشرق، والتركي المسلم طامعٍ بأراضي الغرب، إنه الصراع الديني والاقتصادي معا. "باسم المسيح، دمروا أبهى عجائب وقعت عليها أبصارهم في حياتهم. لقد نهبوا كنائس القسطنطينية وأحرقوا القدس وأنطاكية. أيّ حقيقة أحرقتنا نحن" (٢٢١). هذا في القديم، أما في العصر الحديث، وتحت راية الحرب الدينية المقدسة أيضاً، أطلق الألمان وحلفاؤهم في بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ دعوة غريبة من نوعها تطالب المسلمين بالجهاد العام والانضمام إلى قواتهم، وإلى العصيان العسكري ضد الدول التي يعملون لديها كفرنسا وانكلترا وغيرهما. إنها صورة عن إضفاء الطابع الديني على حرب خارجية بعيدة، وعن استغلال للمشاعر الدينية خدمة لأغراض سياسية وعسكرية. فالإسلام يصبح أداة في مواجهة جزء فقطمن "الكفار" الأوروبيين: "إذ هي لا تدعو إلى قتال جميع الكفار، وتستثني منهم الألمان والنمساويين وممثلي البلدان المحايدة" (٣١٠). وتعزيزاً لهذا المفهوم وللمواظبة على بث روح الحماسة فيه، حرص الألمان طوال الحرب على إصدار جريدة بالعربية تصدر في برلين عنوانها الجهاد.

بالمقابل كان للدول المستهدفة بهذه الدعوة (الإنكليز والفرنسيون) ومن تحالف معهم من الأوروبيين، دعوةُ جهاد مضادة بأداة عربية مسلمة أيضاً دفعت الجزيرة العربية إلى الوقوف مع الإنكليز والحرب إلى جانبهم. وكانت النتيجة الكارثية على المنطقة العربية: "بداية أسطورة لورنس العرب التي، لسوء حظ العرب، انتهت إلى الانتداب الفرنسي والبريطاني على الشرق الأوسط" (٣١٠).

أما في الحرب العالمية الثانية فقد حاولت ألمانية النازية كسب المسلمين إلى جانبها كما فعلت في الحرب الأولى. واستغلت المشاعر الحماسية لمفهوم الجهاد عندهم، فدعتهم إلى الجهاد ضد أعدائها وإلى ضرب الإنكليز والفرنسيين والروس في آسيا الوسطى والهند والشرق الأوسط. والمفارقة الكبرى هنا هي "أن المستشرقين المختصين بالإسلام استشيروا لمعرفة ما إذا كان القرآن، بطريقة أو بأخرى، يتنبأ بقدوم الفوهرر" (٣٢٥)، ولما كانت الإجابة بالنفي وعدم الإمكانية، اقترحوا كتابة نصوص بالعربية تصب في هذا الاتجاه. ووزعوا صوراً لهتلر يلبس العمامة ويعلق الأوسمة والنياشين العثمانية لتجعله محبوباً من قبل المسلمين. يمكننا تخيل رؤيتهم للعرب والمسلمين، لدرجة يسخرون فيها قيمهم الدينية في خدمة حروبهم المجنونة التي لا ناقة لنا فيها ولا أمل.

الجهاد ضد البلاد

تحولت هذه الدعوات الجهادية التي أطلقها الأوروبيون سابقاً إلى دعوات على لسان إسلاميين متطرفين تم تصنيعهم —كما تقول الرواية - في الغرب، ونُقلَت ساحة الصراع إلى الأوطان، لتتحول إلى حرب في الدَاخل بين أطراف البيت الواحد، خدمة للآخر (الغرب). وكانت النتيجة أن تحصد هذه الحروب الأرواح، وتدمر البنيان، وتزرع الرعب بين السكان مثلما فعل المغول تماماً حين كانوا "يقيمون أهراماً من الرؤوس المقطوعة لزرع الرعب في نفوس سكان المناطق التي يغزونها - الجهاديون في سورية يلجأون إلى الوسيلة نفسها تقريباً، بث الرعب والذعر عبر استخدامهم على البشر، تقنية ذبح كانت حتى الآن مخصصة للتضحية بالخراف فقط" (٣٢٠ - ٣٢١).

ويتساءل المؤلف إينار، الذي يعلن حبه لسورية "من كان يتخيل في باريس عام ١٩٩٩، وهو يشرب الشامبانيا، أن سورية ستؤول إلى الخراب نتيجة أشنع أعمال العنف، أن سوق حلب ستلتهمه النيران، أن مئذنة الجامع الكبير ستنهار، وأن كثيراً من الأصدقاء سيلقون حتفهم أو يرغمون على اختيار المنفى؛ ومن بمقدوره، حتى في هذه اللحظة، أن يتخيل جسامة الأضرار وفظاعة الألم وهو قابع في شقته المريحة والهادئة في فيينا" (١٦ - ١٧). صحيح أنه لم يكن متخيلاً أن يحدث ما حدث، لكن قسوة المشهد مرعبة، فالسفاحون يحرقون ويبيدون ويدمرون. وفي أوقات الفراغ يغتصبون ويذبحون دون استثناء، حتى لو تعلق الأمر بعالم قلَّ مثيله في العالم، حافظ على آثار سورية وتاريخهاَ وجعلها عالمية. استجوبوه لأسابيع، مات ألف مرة، وهو البالغ من العمر اثنتين وثمانين سنة، قبل أن يجهزوا عليه بالذبح. فهل نحن من يثبت للآخر أننا نمتهن العنف والإرهاب، مع يقيننا من دور هذا الآخر الواضح فيه؟

ومضة

بين الوطن وأبنائه

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

الفنان صاحب رسالة ومشروع تنويري، وهو من صناع الثقافة، ومن قادة الرأي، وله تأثيره في المجتمع. ولكن إزاء حالات خاصة لفنانين فقدوا القدرة على التمييز بين الشعور الوطني الحقيقي والركض وراء ثورة مزعومة، تاهوا بين الفوقية والتواضع، تظنهم جيراناً وتفاجأ أنهم يسكنون أبراجاً عالية، بين البطل الشعبي والمنفعة الضيقة التي قد يشهرها البعض سيفاً على وطنه، وبين الدعوة للإصلاح أو التصفيق لدبابة الأجنبي، بين البحث عن التتويج الحقيقي وتحصيل الشهرة السهلة. هناك فنانون ومثقفون يعتزون بسوريتهم ويدفعون من أجلها كل غالٍ ورخيص، ويبادرون إلى أي أمر ينقذ هذا البلد الجميل من براثن الخراب والدمار الذي زرعه فيه المتآمرون؛ ففي أول الحرب سافرت مجموعة من الفنانين والمثقفين إلى مصر للاحتجاج لدى ما يسمى "الجامعة العربية" على القرارات التي تتآمر فيها ضد سورية، وللأسف كان استقبالهم هناك بالاعتداء عليهم من قبل من يعتبرون أنفسهم معارضين؛ وبعدها وبمبادرة تحمل الكثير من الوطنية والالتزام، قامت مجموعة من نجوم الدراما السورية، ترافقهم مجموعة من المثقفين، بزيارة إلى موسكو تعبيراً عن امتنانهم للموقف الروسي والصيني والدول التي تساند القضايا العادلة، وليعبّروا عن انتمائهم وولائهم لبلدهم سورية التي كانت على مر التاريخ مهداً للحضارات، وملاذاً آمناً لكل من يقصدها، حيث ضمّ الوفد عدداً من الفنانين الذين ذهبوا إلى القاهرة، إضافة إلى فنانين آخرين، وعدد من المثقفين السوريين الذين لم يقبلوا السكوت على ما يحصل، فأرادوا أن يقولوا كلمتهم، ويوجهوا رسالة للعالم أجمع عن اعتزازهم بانتمائهم لبلدهم سورية، منطلقين من قناعتهم أن الجميع مسؤول، وأن الصدق مع الذات والإخلاص للوطن يتطلبان أقصى مظاهر الحرص عليه.

الآن، وبعد أن تجاوزت نصف قرن من عمرها، تسعى الدراما السورية لإثبات ذاتها وتأكيد حضورها وإنجازاتها، من خلال بعض الأسماء التي هاجرت، أو التي لم تغادر سورية، مؤكدة أنه ليس من السهل أن تخسر درامانا بعض فنانيها الذين دخلوا عالم الشهرة من أبوابه الواسعة دون أن يعيشوا أي معاناة، بل على العكس عرفوا الفن في عصره الذهبي، حيث مكانة الفنان تتصدّر واجهة المجتمع، لذلك كان من السهل على بعضهم التخلي عن كل ما أنجز، ومغادرة هذه الدراما إلى دراما أخرى ما كان لها لتستقبلهم لولا نجاحهم في الدراما السورية، وهنا تكمن الفكرة الأساسية في أن ما أسّس له الرواد وتعبوا من أجله لم يدركه أو يحفظه جيل اليوم من الفنانين، فكانت هذه الهوة بين الجيلين، ولم يتجاوز ما قدّمه فنانو اليوم حدود الشخصية التي رُسمت على الورق بعيداً عن أي رسالة يتوخونها.

للأسف، مع غياب من سمّاهم البعض "نجوم الصف الأول" كان المخضرمون من الفنانين السوريين حاضرين أبداً، والذين لم يهن عليهم مغادرة بلد احتضنهم وكرّمهم، أو أن يتخلوا عن رسالتهم الفنية والإنسانية، وهم من جديد سيثبتون أن ما أسّسوه راسخ ومتين لا يمكن أن يهتز بسهولة مهما حاول المغرضون النيل من هذا الفن الذي يمثل مرآة حقيقية تعكس قضايا المجتمع ووجدان السوريين الذين يعتزون بسوريتهم. وبهذا لا يمكن قراءة مغادرة بعض الفنانين للدراما السورية بأنها تأكيد للخطر الذي يتهدّد الدراما السورية من كل الجهات، بل يؤكد أن الدراما مستمرة بروادها ومؤسسيها والغيورين على مكانتها العالية، فهل ستذهب سكرة البعضٍ وتأتي فكرة أن الدراما السورية ستشهد رغم غيابهم مخاضاً فنياً جديداً. نأمل ذلك؟!

فنانونا الأعزاء. إن ما تقومون به اليوم، وكل يوم، من تعبير عن محبتكم لبلدكم وفنكم بلسم لجروح سورية وهدهدة لقلوب ثكلى تحولت دموعها شلالات فرح لغد مشرق بموسيقا تعزفها أصواتكم أنشودة للانتماء؛ ومن وحي أعمالكم التي أعطت للفن السوري ألقه تتفتح سنبلة من حنطة الأمل وتتوضح رؤية الخلق المدرك لقدرة الشعب السوري على الصمود والانبعاث والتجدد.

بريد الصباح الأخضر وصوت الأوطان!!

فيروز.. حب العمل والإخلاص والتفرغ سر النجاح فالفن لا يحتمل شيئاً آخر معه



"البعث الأسبوعية" ـ المحررة الثقافية

احتفل العالم منذ أيام بعيد ميلاد فيروز، السيدة التي تناغي صباحاتنا فتوقظنا مثل نسمة، يتدفق صوتها غديراً من الوداد، نشيداً يملأ ملكوتنا جليل الوقع غامر الدفء، يسري برقته على أرواحنا بريقاً يضيء سجايانا. يأتينا صوتها، كما الشمس تحيي عشبة داهمها صقيع الليل، يسري يخضورها الدافئ إلينا نغمات تناغي مسمعنا، تغني أسرارنا، تغمرنا بموسيقا أغانيها وتمنحنا طاقة من حب نستعين بها على لهاثنا اليومي. وحدها ابتسامتها التي تطل بها على جمهورها تعيد الثقة بكل مايدور في البال.

فيروز، هذا الصوت الذي شكّل قاسماً مشتركاً للذائقة الفنية العربية والعالمية، وأصبح بريداً أخضر يخترق حتى خصوصياتنا، ففي صفحاتنا الزرقاء هي مفتاح يعتمده كثيرون في التواصل مع أصدقائهم، يكسرون جليد الشاشة البارد بأغنية فيروزية يذيلونها بعبارة «صباحكم فيروزي»، وهم على يقين أن طلبهم إذا لم يستجب فهم على الأقل سيكونون زواراً دمثين، فتحيتهم فيروزية، تحية لا يغضب أحد منها، فـ "ما تفسده الأيام تصلحه فيروز"!

فيروز الحكاية، تأخذني عبر مسرحياتها وشخصياتها إليها، فكانت "زاد الخير" ناطورة المفاتيح للناس الذين أرهقهم الظلم، وغادروا بلدتهم، تلامس وجداني، فأشعر وكأنني أنا هي، ومرة أرى نفسي أشبه بـ "قرنفل" في "صح النوم" التي سرقت ختم الوالي لتختّم معاملات الناس، هذا الهاجس الذي لا يفارقني بتقديم المساعدة لمن يحتاجها؛ وبعد مدة من الزمن، اقتربت أكثر من "زيون" في "ميس الريم"، التي كانت تشعر بالظلم الذي يعانيه الناس وكأنها هي التي ظُلمت. "زيون" البنت التي رافقها الحلم منذ الصغر، لكن مع مرور الأيام كان حلمها يتهدم دون أي فرصة لتحققه، وقذفتها الريح بالاتجاه الذي حددته لها، وكم شعرت بالقواسم المشتركة بيننا. وتختلف الحالة بيني وبين "ريما" التي عثرت على خاتمها لدى بياع الخواتم، بينما كانت الخواتم أصغر من أصابعي، وبقيت أنتظر خاتماً قد يأتي في زمن ما.

شخصية وردة في "المحطة" كانت الأقرب لي، إنها وردة الحلم التي اخترعت للناس حالة الانتظار المرافق للأمل القادم مع "الترين"، ومحطات السفر، وكلّ قطار لا بدّ له من محطّة يتوقّف فيها لنقل المسافرين إلى زمان مختلف، تتجدد فيه الحياة، بما ينسجم ورؤيتها خلاصاً من الرتابة والروتين الذي اعتاد عليه الناس. لكن، للأسف، عندما أتى القطار لم تتمكّن "وردة" من الحصول على تذكرة، لتبقى وحيدة في فضاء المحطّة تتصارع أفكارها ما بين وردة الحلم ووردة الواقع، تغني لـ «ليالي الشمال الحزينة»، و«وحيدة تؤلف عناوين لا تعرف لمين»، وتصرّ وردة الحلم على موقفها من مجيء القطار ومعاودة الانتظار، الذي هو بحدّ ذاته قيمة تنفتح على استمرارية الأمل واكتمال الشوق.

قالوا عنها

جمهورها الواسع توجه لـ "أرزة لبنان" بأرقى العبارات وأفضل التمنيات، واستذكر أغانيها من خلال فيديوهات ومقاطع من كلمات الأغاني الراسخة في وجدان الصغار والكبار، وعبّر فيها كل محب لـ "زهرة تشرين" عن مدى تعلّقه بفنها واشتياقه لها.

يعبر أحد معجبيها عن الحالة التي تشكلها فيروز لأسرته قائلاً: اعتاد أولادي، مثلي، ومثل أمهم، ومثل كل من ترى أعينهم، متى استفاقوا كل صباح، على سماع فيروز وهي تغني لوطن المحبة ولمحبة الوطن، حتى أصبحت محبتهم لها كمحبتهم لوطنهم التي تنبع كل يوم لتدوم. حيث يبدأ النهار عمله بنشاط وتفاؤل وأمل، نجد فيروز ماثلة في كل السياقات، وكائنة في كل الأوقات، وحاضرة في الضمائر الحيّة، ساكنة للقلوب الدافئة، وماكثة قي العقول المستنيرة وجاهزة للحوار مع الآخر، لتصل إلى هدف "المحبة"، لتقول لنا غناءً ولحناً وكلمات "اجعلوها نبعاً، مدوها بينكم جسراً، لتكون لكم زيتونة دائمة الخضرة، تستظلون بفيئها وتأكلون من خيراتها المباركة والطيبة، جذورها صامدة كالمقاومة وفروعها ممتدة نحو الشمس تطاول عناء السماء أفقاً ورحابة وسعة".

الصديق علي محي الدين أحمد كتب على صفحته مهنئاً لها بعيدها: ميزة الصباح أن الإنسان يكون فاقداً الرغبة في سماع أي شيء، ولكن حنجرة ملائكية حولت نهاد حداد إلى فيروز، جعلت من الصباح فيروزياً. فيروز الاسم الذي اختاره لها حليم الرومي والد ماجدة مخيراً إياها بين فيروز وشهرزاد. وربما كانت تعرف أنها ستصبح أجمل حكاية للفن، بل وتقدم تلك الصورة الأسطورة عن إنسانة لم تعد مجرد مطربة لها زهاء الألف أغنية، وإنما التجسيد الأرقى لمشروع عاصي ومنصور في خلق فن للبسطاء وأغنيات يسمعها الغني والفقير. فيروز هي حالة للتماهي بين الإنسان وفنه للوصول به إلى أن يكون أسطورة تحتذى. وأتساءل في قرارة نفسي: لماذا أحب فيروز؟ ليأتيني الجواب: لأنها صوت أمي حين كانت تغني لي "يا كرم العلالي عنقودك لنا، ويا حلو يا علي شو بحبك أنا". لأنها ابتسامة أبي على فطور صباحي حين كانت تشدو "قالوا العدى قالوا". وقتها قال لي أبي: "سامع فيروز، الله ما خلق متلا" مع أن أبا علي كان من مدمني فؤاد غازي وإبراهيم صقر وصالح رمضان.

وأضاف علي: فيروز غنت لي "عودك رنان". فيروز أنجبت العظيم زياد الرحباني، فيروز التي حين ترتل في الكنيسة يصبح الصوت موسيقا، فيروز في الفن كتلك الزيتونة اللاشرقية واللاغربية، هي صوت الصباح، هي من ينبهنا لعودة أيلول، هي من أعطى أشعار طلال حيدر وجوزف حرب بعداً آخر، هي من نحتفل بعيد ميلادها كل سنة لنعتذر من سعيد عقل، ففيروز ليست سفيرتنا إلى النجوم، بل هي ذلك الكوكب الدري الذي يجعل حياتنا أقل بؤساً. فيروز كل عام وأنت قمر مشغرة وبدر وادي التيم. كل عام وأنت فيروزتنا الحلوة، عقبال مليون سنه يا أمي.

حرصت فيروز على أن تنأى بنفسها عن الأحداث السياسية، لتجعل الفن يسمو بذلك على ما عداه، ولتكن مطربة الأوطان والشعوب، رافضة الغناء للزعامات. يقول الشاعر نزار فرنسيس: "فيروز. صرتي الرّمز. والمعنى/ مهما اختلَفنا وْعن بعض ضعْنا/ صوتِك ياستّ الكلّ. بدّو يْضلّ/ كلّما اختلَفنا. يْعود. يجمَعنا".

حظِيت فيروز بالعديد من الألقاب التي تمجد مسيرتها الفنية، وتحاكي تاريخها، ومنها: "جارة القمر"، و"أسطورة العرب"، و"ياسمينة الشام"، و"ملكة الغناء العربي"، و"عصفورة الشرق"، و"الصوت الساحر"، و"سيدة الصباح"، و"صوت الأوطان"، و"الصوت الملائكي"، وأضيف عليها "صوت الحلم".

عرفت فيروز بغنائها لقيم نبيلة من حب ووطنية، وأدت أشعاراً لجبران خليل جبران وأحمد شوقي وبشارة الخوري، وغنت لمدن العالم العربي الأصيلة، كما غنت للشهور: تشرين ونيسان، وغنت لمرور العمر، وللأوطان، وللحلم، وحب الطبيعة، والمواسم؛ ولا نبالغ لو قلنا أنها الصوت "الذي غيَّر من شكل الحب في عالمنا العربي"، وشكلت للعالم الظاهرة المتجددة أبداً، وأداؤها تميز بالنضج والمرونة والتمكن الشديد من التعبير، فكان ميلادها كل عام ميلاد لبنان الجديد في عيد ميلادها الجديد.

دخلت إلى كل بيت عن طريق المسرح والتلفزيون والإذاعة، فجاءت ذاكرة الأخوين رحباني "ذاكرة الوطن"، فشكلت ظاهرة إبداعية اختزل فيها شغف الوجودية بقول عمر أبو ريشة "نهر الحياة العظيم، وفيروز - كما وصفها محمود درويش - هي "الأغنية التي تنسى دائماً أن تكبر. هي التي تجعل الصحراء أصغر. وتجعل القمر أكبر». ويقول نزار قباني: "قصيدتي بصوتها اكتست حلة أخرى من الشعر"، أما أنسي الحاج فقال: "بعض الأصوات سفينة وبعضها شاطئ وبعضها منارة، وصوت فيروز هو السفينة والشاطئ والمنارة، صوت فيروز هو الشعر والموسيقى والصوت، حتى الموسيقى تغار منه". ولا نبالغ لو قلنا أنها الصوت "الذي غيَّر من شكل الحب في عالمنا العربي". إنها فيروز، "جارة الوادي"، "جارة القمر"، "زهرة المساكين". فيروز التي عاشت للحب، وغنت للحب، فأدركت "سر الخلود".

فيروز والرحابنة وزياد

في المسرح الغنائي، شكلت فيروز والرحابنة مدرسة فنية، وقد تواصلت هذه المدرسة مع زياد، إذ تقول فيروز في أحد حواراتها: مسرح زياد مختلف كلياً عن خطي كفيروز، لذلك أنا وزياد مكتفيان بالأغنية. كما ترى أن تجربة زياد تمثل امتداداً لتجربتها مع عاصي. وعندما سئلت عما إذا كان هذا الكلام يقضي على طموحات زياد بتكوين شخصية موسيقية مستقلة تتعاون معها فيروز على هذا الأساس، أجابت: هو فعلاً امتداد، ولكن بشكل متطور أكثر، وبالعكس، فهذا الكلام يفرحه، ولا يزعجه، لأنه مدرسة أصيلة أنشاها والده.

وعن رأيها بالتوزيعات الموسيقية الجديدة التي عملها زياد على الكلاسيكيات التي قدمتها في عديد حفلاتها، قالت: أحبها كثيراً، وأجدها من الضرورة أن تحدث، فهناك الأغنيات القديمة التي غنيتها، وأعاد زياد توزيعها الموسيقي الذي أعطاها وجهاً جديداً، ووضعها على الطريق الفني الحديث.

حطت بصوتها الفيروزي على أول شجرة عشق لتعيد لنا الثقة التي افتقدناها حين تسيّد العابثون الساحة الغنائية، وفُرضوا علينا قسراً عبر أجهزة الإذاعة والتلفزيون. وعن رأيها بالأغنية العربية والأصوات المتعبة التي لوثت الآذان، أضافت فيروز: في كل فترة من الزمان هناك فترة خير ونهضة. وفي جميع أنحاء العالم، الفن، وكل شيء، في حالة انحدار.

ويسألها المحاور: صوت فيروز كان تعويذة اللبنانيين خلال أيام الشدة، فهل كان هذا الصوت تعويذة لفيروز الإنسانة، أيضاً، أيام الحرب؟ فتجيب فيروز: في تلك الفترة خفت كثيراً، فالأماكن تضيق بالخوف، لأن الحرب شيء مرعب، ولا يعود الإنسان يفكر سوى بالحماية والمكان الآمن، لكن حين تسكت المدافع يعود الإحساس شبه طبيعي، ولا أحد يستطيع القول أنه يملك أحاسيسه بنفس الحالة، عندما يكون الجو هادئاً. أما سر نجاح فيروز المتواصل؟ فتعزوه لحبها لعملها وإخلاصها وتفرغها له، لأن الفن لا يحتمل شيئاً آخر معه.

فيروز وبس!!

"البعث الأسبوعية" ـ حنان حموي

ـ وإذا ما اجتمعت النجوم لتلقي من عليائها نظرة برّاقة على سماء الشام، لحظة شروق الشمس، قبل أن تنسحب إلى مقرّها النهاري، هناك خلف القمر، بانتظار المساء، ستجد أن سحابة شفيفة زرقاء بلون التركواز، الحجر الكريم جداً، تخيّم على سكون الصباح، والصوت المخملي النادر ينساب من حيث لا يدري السامع، من خلف زجاج النوافذ في البيوت الفخمة، ومن تشققات الجدران في الأكواخ البائسة. وتسأل النجمات عن صاحبة الصوت، وهنّ عالمات، من أنت؟ ليواصل الصوت شدوه: "أنا عصفورة الشَمس، أنا زهرة الحرية"، ويأتي الصدى من بعيد مردداً: "أنا حَجَرة، أنا سوسنة يا وطني"، لا بل "أنا على بابك قصيدة، كتبتها الريح العنيدة".

هناك، عند التلال، يتذكر العندليب صوتها يوم تكثفت غيوم الشر الداكنة، فأمطرت الأقدار ظلماً فوق أرض الأجداد، حينها جاء صوتها هادراً: "الغضب الساطع آت"، فيما كانت تحاول إخفاء خوفها "من عتمٍ الليل"، ويتذكر البلبل كلماتها بعد انحسار غبار العنف، ودخانه، لتبكي مع حزن الأمهات المفجوعات: "أنا الأم الحزينة".

ويتدخل الكنار ليذكّر بأنها عادت وألقت الحزن جانباً وارتدت ثوب التحدي: "أنا شهرزاد" الشجاعة الرقيقة التي لا يهدأ لسان قلبها عن الخفقان بإعلان الحب: "أنا حبيتك. حبيتك أنا. بالصيف، بالشتي، صباح ومسا.".

وإذا ما عادت النجمات الفضوليات بالسؤال عن سر هذه القوة العجيبة، يصدح الصوت التركوازي: "أنا في قلب الله. أنا في قلب الله".

نعم هو ذا الخالق الذي أرسلها في الأزمان الصعبة رأفة بحال البشر، بلسماً للأرواح، وتوّجها مليكة على القلوب، ويأتي الصوت من بعيد: "أنا الل. بيسموني الملكة. وجبيني ولا مرة حني"، ولكن أمامها ينحني الكبار والمتكبّرون، بمن فيهم باحثون عن مجد يتكبّر عليهم ويتمنّع، فنراهم يسعون إليها، آملين أن يحنو عليهم بشفاعة عنفوان ابتسامتها الباهرة.

هي لا تحب الكلام. "لشو الحكي؟"، صمتها أبلغ آلاف المرات، وطالما أنها غنت وغنت سيظل هذا الصوت يهدهد الأسماع مهما تضاعف عدد السنوات في حساب الزمن.

القمر لا يشيخ، وجارته أيضاً. الزمن يصبح "لا زمناً" في حضرتها، وصوتها صار جزءاً من حمضنا النووي الشاميّ!!

صبية الجسر، والبنت البياعة، وعطر الليل، ريما وغربة ووردة، هيفا ولولو وقرنفل، عليا وزيون وزاد الخير، هالة وشاكيلا وزنوبيا.

باختصار: نهاد، أم زياد، وريما وليال وهلي، ساكنة القلوب الأبدية، جارة القمر. كل عام وأنت فيروز. فيروزتنا!!

مهند العاقوص: أتمنى أن يجد أديب الطفل العربي مؤسسات تأخذ به نحو العالمية.. لا أن «يحفر طريقه بيده»!!

"البعث الأسبوعية" ـ جُمان بركات

بين الأحلام وتحقيقها، أو القدرة على السير فيها، هناك طريق مليئة بالأمل والعمل والجد في تحصيل مفردات المهنة، ومهند العاقوص شاب سوري أتقن امتلاك أدواته، فأعطته أجنحة ليحلق في سماء أدب الطفولة، ويبحر في محيط المعاني والعبر والحكمة، ليقدم وجبة مميزة من القصص والقصائد والحكم وورش العمل التعليمية للأطفال. العاقوص في المادة التي يقدمها، بجناحيها الشعر والحكاية، واحد من الأسماء الشابة التي أسست لمنظومة فكرية بهية الكلمة والمعنى في أدب الطفل السوري خاصة، والعربي عامة؛ ومع رهافة الشعر وجزالة الكلمات في حكاية العاقوص، قمنا بالغوص عميقاً ليكون لنا معه هذا الحوار.

رسول الطفولة

كتب مهند العاقوص القصة والشعر والمسرح والرواية. عن اللقب الأحب إلى قلبه، يقول:

أعتبر نفسي محظوظاً أني استطعت أن أكتب في حقول أدب الطفل المختلفة، وحتى أدب الكبار في حقول مختلفة، لربما تكون بجودة متقاربة. والحقيقة، لو غُيّر قليلاً في السؤال وسُئلت: أي الفنون أحب إليّ؟ فأعتقد أنه الشعر؛ ربما لأني أرى في الشاعر سليمان العيسى قدوة، ولطالما حلمت في بداية طريقي في أدبِ الطفل أن أكون مثله رسول محبة للطفولة أولاً الطفولة العربية، ومن ثمّ الطفولة الإنسانية، ولأني أحب الكلمة التي تُطرب، والتي لها وقع جمالي، وليس الكلمة التي لها معنى معين. أميل جداً إلى الشعر، به بدأت رحلتي في الكتابة وإليه أميل دائماً؛ حتى عندما أكتب القصة، فلابد أن أدخل فيها بعض المحسنات اللغوية التي تأتيني من الشعر، وعندما أكتب المسرح أيضاً أطعّمه بكثير من القصائد، وعندما أكتب الرواية أراني أكتب قصيدة طويلة؛ أما اللقب، فحقيقة أحب لقب الأديب مهند العاقوص، لأني أرى أدب الطفل في منزلة كبيرة، وأراه أحد أهم الفنون في العلوم الحديثة، فأدب الطفل ليس فقط أدباً ترفيهياً – كما يكون للكبار – لكنه أدب بنائي، هو أدب يتشابك مع كثير من العلوم الأخرى التي تبني الطفل، فلذلك أجده حجر أساس، وأجد أن من يتقنه – ولا أقول من يلجه أو يكتب فيه، إنما أقول من يتقنه – يستحق كلمة أديب، وأتمنى أن أستحق لقب الأديب السوري مهند العاقوص.

العميد

وصفه البعض بـ "عميد أدب الأطفال"، يقول عن هذه الصفة: حقيقة هناك من أطلق عليّ لقب عميد أدب الأطفال العرب، والذي أطلق هذا اللقب عمل إسقاطاً بين عميد الأدب طه حسين كونه كفيف البصر، وكوني من ذوي الإعاقة البصرية، إضافة إلى أنني قد أكون مميزاً بأدب الطفل، إلى حد ما، على المستوى العربي. لكن لا يهم، أدب الطفل ميزته أنه أحياناً أن اسماً يلمع هذا الشهر، وفي الشهر الذي يليه يلمع اسم آخر، والسنة التي تليها تلمع أسماء أخرى، وهكذا!! حقيقة لا أشغل نفسي الآن بالألقاب، لأنني أعرف أن النجاح هو عملية ثبات واستمرار، وأنا أجد نفسي لست ذا باع طويل في أدب الطفل، لم أثبت نفسي بعد لأنني لم أخلق الاستمرارية الكاملة حتى الآن، رغم أنني أكتب من عشر سنوات ولربما يوماً ما أصبح عميداً لأدب الطفل العربي. علينا أن نحلم وننتظر!! أنا دائماً أقول أن العظماء لا يختلفون عنا إلا بسعة أحلامهم، وأنا أحلم أن أكون يوماً علامة فارقة ومميزة على الساحة العالمية لأدب الطفل.

مفاتيح النجاح

وعن التقدير والمكانة التي يطمح لها مهند العاقوص، قال: أنا راض جداً، قد أكون حصلت على مكانة وتقدير أكثر من غيري من الذين عملوا بجد، لذلك أجد نفسي راضياً، لكن أتمنى أن يجد أديب الطفل العربي مؤسسات تأخذ به نحو العالمية، لا أن يبقى يحفر طريقه بيده كما يقال.

المحبة هي إحدى مفاتيح النجاح وعنها قال: برأيي، أديب الأطفال لا يملك خيارات أن يكون مليئاً بالمحبة أو لا، بالأصل إذا لم تكن مليئاً بالمحبة لن تصل في أدب الأطفال، أو أن طريقك سيكون على مقياس ما تحمله في قلبك من محبة. إذا محبتك كثيرة فإنك ستذهب بعيداً، وإذا كانت قليلة فإنك بقدر تلك المحبة تنال من أدب الطفل، أنا لا أعرف كيف لا يكون أديب الأطفال محباً للجميع!

أنا في كل قصة أكتبها علي أن أفكر في أول طفل من أقصى مكان بالعالم إلى آخر طفل في أقصى مكان من طرف العالم، وأن هذه القصة تناسبه ولا تؤذيه وتحترمه، وأنه لن يجد فيها إلا ما يسره، ويقدم له المتعة أيضاً. لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد هناك قصص لها سمات وخصوصية معينة؛ فأنا أحياناً أكتب قصة تخص بلدي وهذا حقي، هي لا تعني الآخر لكن أيضاً لا تؤذيه، وأيضاً يمكن أن أكتب قصة تخدم توجهاً أخلاقياً معيناً، أختلف به مع غيري، لكن علي أن أقدمه بما لا يؤذي الآخرين، في كل الحالات علي أن أكون محباً.

– هل أنت مُلهَم أم مُلهِم؟

يجيب العاقوص عن هذا السؤال بأن كل شخص مبدع هو ملهم، بمعنى أنه تأتيه فكرة إلهامية معينة، لكن لو سئلت عن مصادر إلهامي، لقلت: أنا أجد أن حلم الإنسان هو مصدر إلهامه، وأنا عندما أحلم أن أصل إلى مكان ما، بعيد، مثلاً، يصبح هو مصدر طاقتي وإلهامي، وهو محفزي، ويصبح المحفز ذاتياً، ويصبح المحرك الذي يجعل كل يوم يبدأ وكأنه بالخطوة الأخيرة ما قبل الحلم، فنبدأ بخطوات سريعة وواثقة نحو الإنجاز. هذا يجعل الإنسان ينجز كل يوم، أو على الأقل أنا!!

ـ نعم، أنا ملهَم، مثلي مثل كل الذين يعملون في الحقل الإبداعي أو الحقل الفني أو الحقل العلمي، وأعتقد أن الناس كلهم، بطريقة ما، وبحدود ما، هم ملهمون.

ـ هل أنا ملهِم؟! لا أعرف إلى أي حد، بكل تأكيد لدي قصة نجاح بغض النظر عما هو حجمها، وكيف يراها البعض، كبيرة أم صغيرة، كل من موقعه. لكن إلى حد ما قد يجد بعض الناس أنني ملهم، وربما قد تلهمه قصتي أو كتابي أو رحلة نجاحي، هذا يحدده الناس لاحقاً، وليس الآن، ولربما أصبح ملهِما.

الانتماء

عن انطلاقته وكتبه المترجمة، يقول العاقوص: لو بدأت من الوطن العربي. حقيقة، كل البلاد العربية فتحت لي ذراعيها، وأنا انطلقت من كل البلاد العربية، فلا بلد لم يفتح لي ذراعيه، ويتواصل معي الناس منه، فقد وصلت كتبي إليهم من المحيط إلى الخليج. أشعر بالانتماء في أدب الطفل، وبكل تأكيد أشعر أنني انطلقت من سورية إلى الوطن العربي، ومنه إلى العالم.

بعض كتبي ترجمت إلى بعض اللغات، وهذا شيء جميل، وأنا أسمع أصداء طيبة حتى عن كتبي باللغات الأخرى، بالتركية، بالفارسية، بالأوردو، بالإنجليزية والجورجية، وهذه وظيفة أديب الطفل أن يكون إنسان المحبة والعطاء، وأن ينتمي إلى وطنه، لكنه أيضاً إنسان ينتمي إلى هذا العالم.

– كتب مهند العاقوص في حقول أدبية مختلفة وحصل على جوائز عديدة، ماذا يقول عن ذلك؟

فزت بالعديد من الجوائز في فروع الأدب المختلفة، ونلت تقديراً أشعر بالرضا عنه، ودائماً أقول أن هذه الجوائز قيمتها بقيمة الفرحة التي أراها في عيون عائلتي، بقيمة أن يشعر الإنسان أنه يسير بالاتجاه الصحيح، وأنه ليس تائهاً، ويذهب باتجاه صحيح نحو حلم أكبر.

ويضيف: بكل تأكيد، لا تشبعني الجوائز!! ليس لأنني شخص طماع، أو نهم، أو مدمن جوائز وأضواء، فأحياناً لا تكون الجائزة مثل المتعارف عليه! أنا أقول، مثلاً، أن أحد كتبي الذي لم يرشح لجائزة أصلاً، ولم يكن متوجاً، صنّف الأكثر مبيعاً في الشرق الأوسط. أحياناً، الجوائز لا تأتي على شكل درجات أو مسابقات، وهناك جوائز أسمى بكثير، كأن ينتشر كتاب لك، أو أن يقول لك طفل أن كتابك غيّر شيئاً داخلي، أو أفرحني، أو أسعدني، أو تعلمت منه؛ أو تقول أم أن ابني ينتظر قصصك. كل هذه جوائز! وأن يدعو لك أحدهم بالخير، فهذا أيضاً من الجوائز! أنا دائماً أسعى إلى شيء أكبر، هذه طبيعة كل إنسان يريد النجاح ويطمح له، وأنا أدّعي أنني لا زلت في بداية الطريق، ولا زلت أعدّ المائدة الآن، ولّلتو بدأت.

أداة ناعمة

عادة يخدم أدب الطفل قضايا إنسانية، والعاقوص قدم أفكاراً لم يتطرق إليها أحد، وعنها يتحدث:

تخلى أدب الطفل عن وظيفته السابقة، والتي تعرَّف الناس عليه من خلالها على أنه أدب ترفيهي، وأنا أقصد في الوطن العربي، فقد أصبح أدباً حمّال قضايا، وصانع رأي عام، يقود حركة تحولات في المجتمع.

نحن نرى أن أدب الطفل إذا ذهب باتجاه الإعاقة يعني أنه ذهب باتجاه مؤثر، وإذا ذهب ليعالج مسألة اللجوء فإنه يؤثر فيها، وإذا ذهب ليعالج مشاكل أسرية فإنه يؤثر أيضاً. إذاً، نحن نتكلم عن أداة ناعمة قوية، لها شخصيتها ومكانتها، ولها أدواتها الفاعلة مجتمعياً، وأنا أيضاً جزء من هذه الحركة، واعتقد أنني قدمت – في كثير مما قدمت – قضايا تهم الإنسان بطريقة ما، أينما كانوا، ومن كانوا!!

الإعلامي

لم ينحصر نجاح العاقوص في كونه كاتباً وشاعراً، بل تجاوز ذلك ليكون محاوراً ومعداً قوياً للتقيات عدة أطلقها. عن اكتشافه لذاته كإعلامي، يوضح:

خلال عملي في السنوات الأخيرة كمعد برامج إذاعية وتلفزيونية، وجدت متعة كبيرة، خاصة في الأعمال التلفزيونية. نحن في العصر الرقمي، والصورة، والجذب في وقت قصير وقليل، وهذا يحققه الظهور التلفزيوني للكثير من الأعمال: القصص والأناشيد الموجودة في أكثر من تلفزيون، فأنا معد برامج في قناة براعم، وإذاعة سلطنة عمان، وتلفزيون عمان، وقناة الاستقامة، وهناك محطات أخرى. من المهم أيضاً الإشارة إلى أنني أشرف على "الإستراتيجية الوطنية لبناء ثقافة الطفل" في وزارة التربية بسلطنة عمان، أو ما يسمى بالسلاسل القصصية؛ وكمدير لهذه العملية، قمنا بتدريب الكثير من المعلمين والمعلمات، ونحن الآن بصدد إنتاج كبير يصل إلى كل مدارس السلطنة؛ وتلك، حقيقة، واحدة من النقاط المشرفة التي أسعد بها. أيضاً هناك عملي في "مؤسسة مملكة الطفل" كمدير تنظيمي لملتقى مملكة الطفل، وقد وصلنا الآن إلى الملتقى الرابع، ولعبت فيه دوراً إعلامياً أيضاً. لربما تكون وجهتي القادمة أن أكون في الحقل الإعلامي، لأنني شعرت أنني أستطيع أن أخدم قضايا الطفولة وثقافة الطفل، وأخدم الإنسان من موقعي كمحاور أيضاً في هذا المجال. لربما يكون هذا عنوان المرحلة المقبلة.

إتقان المستحيل!! التحدي أن نعيد إحياء تموز من مراقده ولو قبل أوان الربيع

"البعث الأسبوعية" ـ رامز حاج حسين

لغة الزيتون

حين تذكر المراجع العملية والتاريخية الأدبية ما يلي: "تعود المحفوظات الملكية في مدينة إيبلا إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، نصوصها مكتوبة بالخط المسماري، وبلغة جديدة لم تكن معروفة سابقاً، وهي لغة إيبلا التي عُرفت وانتشرت قبل حوالي خمسة آلاف عام"، سنقف مطولاً أمام عبارة "لغة جديدة لم تكن معروفة سابقاً"، وسيتبادر للذهن فورا أن أهل هذه الأرض ابتدعوا على مر عصورهم، وفي كل بقاعهم الجغرافية السورية، لغتهم الخاصة، ودونوا بها قصصهم وحكاياتهم، وأوان زراعتهم وحصادهم، وقصائد عشقهم الكبير؛ وكلما غزاهم مغول وتتار عصرهم، قاموا من تحت الرماد ومناجل الذبح ليبتدعوا تلكم اللغة الخاصة بهم، كما يليق بنبلهم وحضارتهم.

قدر مكتوب على جباه السوريين – أينما حلوا وارتحلوا – أن الإبداع صنعتهم، واقتحام المستحيلات حرفتهم، وترويض الصعب رياضتهم المفضلة.

هذا الكلام يأتي في وقت أريد للإرادات أن تكسر، وللهمم العالية الطامحة للبناء أن تتقهقر، وأن يعلو صوت اليأس والخنوع على مفاصل الحياة، وأهمها المفصل الثقافي ومشهديته السورية، فكان التحدي أن ينهض أولو العزم والإرادة بأمر جلل كبير، ألا وهو إعادة إحياء تموز من مراقده، ولو قبل أوان الربيع، فلابد أن يكون كل يوم نيسان، وكل ساعة هي ساعة تفتح نوارة في قلب الجيل، وفي مخيلة أهل الثقافة الموجهة له.

مسابقة ممتاز البحرة السورية

إطلاق مسابقة لفن اللوحة الطفلية كان أحد الأحلام التي سعينا جميعاً – كفناني لوحة الطفل – لكي يقام لها منبر، بل ومنابر عدة، وفي كل أجناس اللوحة وتفرعاتها، فكانت منشورات الطفل، في "الهيئة العامة السورية للكتاب" – وزارة الثقافة، أول المتلقفين للنداء. وانطلقت مسابقة، تحمل في رمزيتها ودلالاتها الكثير، لاستجلاب المواهب الشابة والإضاءة على فن الطفل ولغته البصرية، وما كان أجمل من إطلاق المسابقة، إلا اسمها الجميل المميز (ممتاز البحرة)، تخليداً لذكرى المؤسس الأول للغة البصرية الجادة والقوية للطفل السوري.

ما يهم، هنا، ليس الترويج للمسابقة نفسها، وإنما لما تتركه من أثر ودلالات؛ فيجب تلقف هذه الفرص والإتيان بما هو جديد، وتطوير العمل ما بعد توزيع الجوائز، ليتم بفاعلية أكبر تطوير منهج رسم اللوحة الطفلية في سورية وتعزيزه، والاهتمام بالمواهب الشابة الواعدة، أكانت من الفائزين، أم لم تكن، فسورية الولّادة في كل محافل الإبداع لابد أن يكون لها السبق والريادة في هذا الفن.

المتأمل للوحات الفائزة، في مسابقة هذا العام، سيجد تجسيداً لمعنى اللون والريشة الراقصة بانسجام؛ فرغم كل الصعوبات التي يعيشها فنان اللوحة الطفلية في سورية استطاعت الفنانات الثلاث، الفائزات بالمراتب الأولى، أن يقلن للمتلقي، وللعالم كله، أن هذه الطفولة يليق بها هذا الفن، وأن على كل الأكاديميات العالم تعلّم فن البراءة والجمال من وجوه أطفال سورية.

ليس بكلام تنظيري، فأنا، منذ عشرين عاماً، لا أجد لنفسي مرجعاً للوحاتي أدق تفاصيل وأجمل ملمحاً من وجه طفل سوري يبتسم، أو طفلة سورية ترقص مع الفراشات، ولكم أن تجربوا النظر في هذه الوجوه للوقوف على دقة إدعائي هذا من عدم صوابيته!!

فرات من ألوان الطيف

المسؤولية الآن ملقاة على عاتق أصحاب المنابر الثقافية والإعلامية والتربوية أن نعزز صناعة المستحيل في نفوس مواهبنا الشابة، وأن نذلل لهم الخطوات، ونجزل لهم العطاء، ونكافئ كرمهم الفني الصرف بتكريمات ومسابقات وندوات ومجلات وكتيبات وقصص. سيكون لنا نهر، كالفرات، ملون بألوان الطيف، لا يصب – كما الآن – في أراضي الغير وأفئدة وعقول أطفال الغير، بل في أرض الوطن وعقول أطفاله.

كفى تهجيراً للإبداع السوري المتعلق باللوحة الطفلية؟ ولنكرم أصحاب الاختصاص فيه، ونقيم لهم مراكز دائمة ومعاهد اختصاصية بمناهج تعليمية تبدأ مما وصل إليه هذا الفن في أنحاء العالم.

وفي الوقت الذي يريدون كسر الإرادة الخاصة بنا، تخرج للعلن ولادة طفل سوري يعرف كيفية ترويض الأحلام عبر ابتسامة، كيفية كسر الأفق المتوقع لانهيار الأمم بنهضة تتولّد من روح العناد، خاصة وأن الرقم الطيني الصافي الذي ينتمي إليه يأبى الانكسار أبداً. أزلي المنشأ في الحب، أبديّ الانتهاء بالوله، وعطش الانتماء لرحم الآلهة السورية الخام.

بطاقة محبة

لن نزاود حين نقول أن وزارة الثقافة بإدارة د لبانة مشوح، بتكريسها "جائزة ممتاز البحرة" لفن اللوحة الطفلة، تكون بحق قد وجهت بوصلتها الرشيدة إلى مفصل مهم من مفاصل البناء الحضاري للأوطان، لأهمية الطفل لمستقبلنا، ولأهمية اللوحة الطفلية واللغة البصرية لهذا الطفل المنشود. ولنتذكر هنا أن فناني قصص الأطفال ولوحاتها، وصانعي الرسوم المتحركة، يتلقون في بلدانهم كل الحفاوة والترحيب والاهتمام، وتقام لهم المعارض الفصلية والسنوية الضخمة لنشر نتاجهم، ليكون هذا حافزا وباباً من أبواب المنافسة فيما بينهم ليبرز كل واحد منهم طاقاته الإبداعية، ويصبها كسبائك الذهب في مجلات وكتب البلد الذي ينتمي إليه.

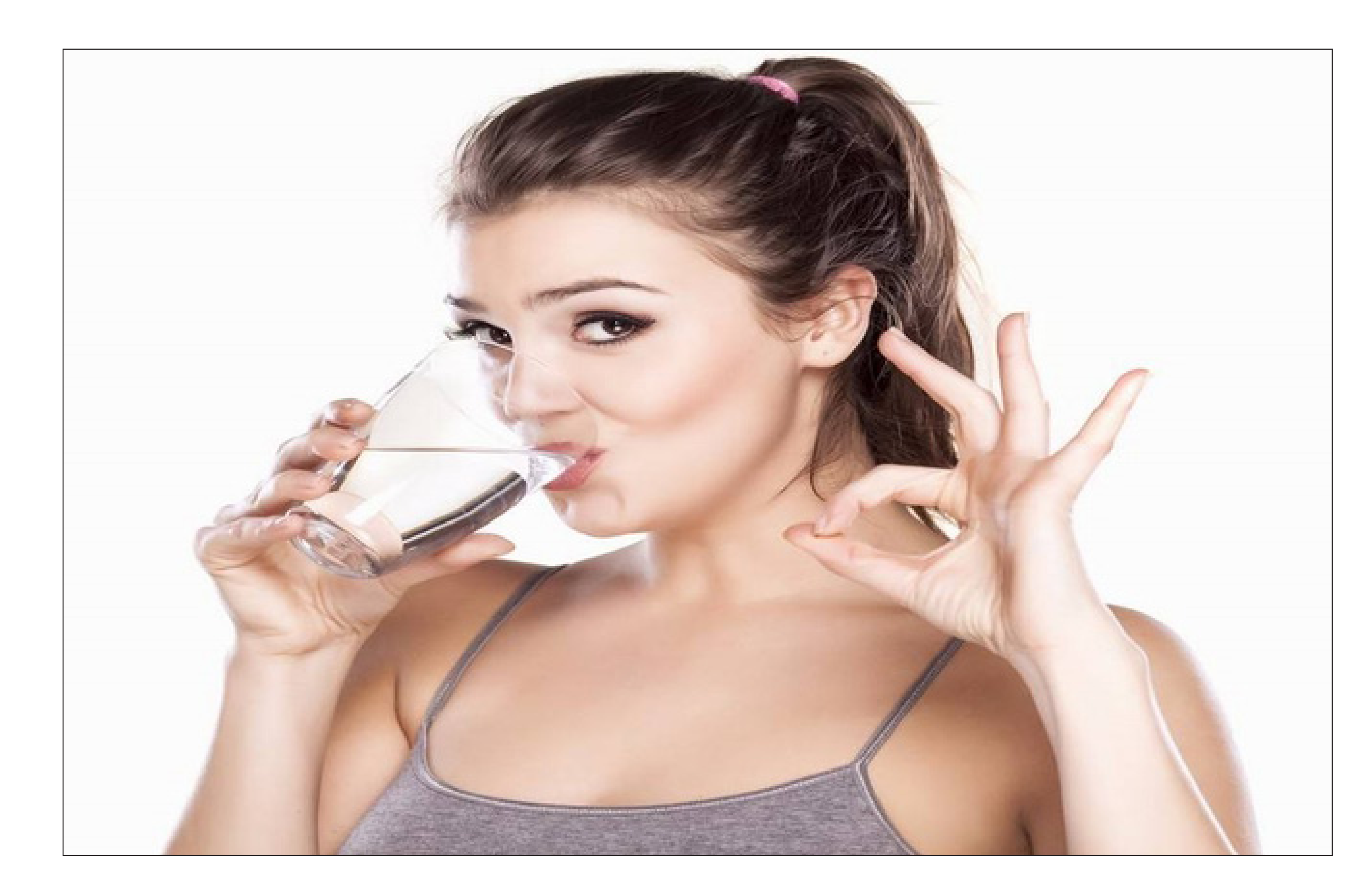
الفرنسي مبتكر "أستريكس" أنموذجاً

كل محبي ومتتبعي فن الكوميك العالمي يعرفون الفنان الكبير أوديرزو، فنان أشهر سلسلة كوميك عالمية "مغامرات أستريكس". الشاهد من ذكر أوديرزو أنه توفي في آذار الماضي عن عمر يناهز ٩٢ عاماً، جراء قصور في القلب لتعرضه لوباء العصر كورونا، وبيعت أربع رسوم أصلية أنجزها أوديرزو مقابل ما يقرب من ٤٠٠ ألف يورو في مزاد خيري ومنحت لمستشفيات باريس.

في حياته أدركت فرنسا أهمية تصدير فن الكوميك الخاص بأوديرزو للعالم، ليكون ماركة فرنسية خاصة تضاهي شهرة عطور باريس، فأقامت له معهداً لتدريب الطلاب على خطوطه وأسلوبه، ورعت له طباعة إنتاجاته كلها، فبيع أكثر من ٣٨٠ مليون كتاب من سلسلة "أستريكس" المصورة في أنحاء العالم بـ ١١١ لغة، إضافة إلى تصوير أفلام ومسلسلات تلفزيونية، وإطلاق ألعاب فيديو، وإنشاء منتزه فرنسي مخصص للرسوم الهزلية وشخصياتها.

بهذه النماذج ينتهي المقال لما يراد أن يُقال.

أيهما أكثر صحة: شرب الماء قبل الطعام أم بعده؟



"لا تشرب الماء على الطعام"، من النصائح القديمة التي كنا نسمعها من جداتنا على طاولة الطعام، لكن، إلى أي مدى كانت جداتنا مُحقات؟ وما الأفضل بالضبط؟ شرب الماء قبل الطعام أم بعده؟ وهل يضر شرب الماء والسوائل أثناء تناول الوجبات بعملية الهضم فعلاً؟

لفهم سبب الاعتقاد الشائع بأن الماء يربك عملية الهضم، من المفيد أولاً فهم آلية الهضم الطبيعية. يبدأ الهضم في فمك بمجرد أن تبدأ في مضغ طعامك، يستثير المضغ الغدد اللعابية التي تبدأ في إفراز اللعاب الذي يحتوي على إنزيمات تساعدك على تكسير الطعام.

بمجرد دخول الطعام إلى المعدة، يختلط مع سائل المعدة الحامضي، ما يؤدي إلى تفتيته وإنتاج سائل سميك لزج يعرف باسم الكيموس؛ وعندما ينتقل الطعام إلى الأمعاء الدقيقة، يختلط الكيموس مع الإنزيمات الهاضمة من البنكرياس وحمض الصفراء من الكبد، حيث تعمل هذه الإنزيمات على تفتيت الكيموس، وفصل كل العناصر الغذائية الموجودة بالطعام لامتصاصه في مجرى الدم.

يتم امتصاص معظم العناصر الغذائية عندما ينتقل الكيموس عبر الأمعاء الدقيقة، وبعدها المغذيات التي تصل إلى مجرى الدم، ومنه إلى مختلف أعضاء الجسم، لكن يبقى جزء صغير فقط ينتقل إلى القولون، وينتهي الهضم عند هذه المرحلة التي تستغرق بين ٢٤ إلى ٧٢ ساعة.

عموماً، فإن لشرب الماء فوائد صحية عديدة، لكن يجادل البعض حول فكرة تناول الماء والسوائل أثناء الطعام. إذ يعتقد أن المشروبات، خصوصاً الحامضية، تؤثر على اللعاب وتسبب جفافه، ما يزيد صعوبة عملية الهضم، نتيجة إفرازه كميةً أقل من إنزيمات تفتيت الطعام، وهناك اعتقاد يخص الماء وحده، وهو أنه يقلل حموضة المعدة، لكن لا توجد أبحاث علمية تدعم هذه الافتراضات.

لذلك، وعلى العكس تماماً من الاعتقاد الشائع، فإن السوائل تساعد على مضغ قِطع الطعام الكبيرة، ما يسهل انزلاقها إلى أسفل المريء وإلى المعدة بسلاسة، فضلاً عن مساعدة الماء في منع الانتفاخ والإمساك، علاوة على ذلك، تفرز معدتك الماء مع حمض المعدة والإنزيمات الهاضمة أثناء الهضم.

والواقع، فإن الماء ضروري لتعزيز وظيفة هذه الإنزيمات للعمل على هضم الطعام.

قبل الطعام أم بعده أم في أثناء تناول الوجبات؟

سواء تم تناول السوائل أثناء أو قبل الوجبات، تلعب السوائل عدة أدوار مهمة في عملية الهضم، إذ يقلل الماء من الشهية ويخفض نسبة السعرات الحرارية.

كما يمكن أن يساعدك شرب الماء مع الوجبات على التوقف بين المضغات وبعضها، ما يمنح أعصابك لحظة للتحقق من إشارات الجوع والامتلاء، لتخبرك بأنك قد امتلأت بالفعل، وعليك التوقف عن تناول مزيد من الطعام، وهو ما يمنع الإفراط في تناول الطعام وقد يساعدك أيضاً على إنقاص الوزن.

إضافة إلى ذلك، أظهرت دراسة أمريكية، مدتها ١٢ أسبوعاً، أن المشاركين الذين شربوا نصف لتر من الماء قبل كل وجبة فقدوا ٢ كيلوغرام، أكثر من أولئك الذين لم يشربوا، وأشار بحث نشرته المكتبة الأمريكية للطب إلى أنّ شرب الماء قد يسرّع عملية التمثيل الغذائي بنحو ٢٤ سعة حرارية لكل نصف لتر ماء تستهلكه.

ومن المثير للاهتمام أن عدد السعرات الحرارية المحروقة انخفض عندما تم تسخين الماء لدرجة حرارة الجسم، وقد يكون هذا بسبب حقيقة أن جسمك يستخدم المزيد من الطاقة لتسخين الماء البارد حتى درجة حرارة الجسم. لذلك إذا كنت تسعى لإنقاص وزنك فالأفضل أن تشرب ماءً بارداً قبل وأثناء وجبات الطعام.

لكن ضع في اعتبارك أن هذا ينطبق في الغالب على الماء، وليس المشروبات التي تحتوي على سعرات حرارية، إذ أشارت دراسة أخرى إلى أن إجمالي السعرات الحرارية المتناولة أعلى بنسبة ٨ - ١٥٪ عندما تناول المشروبات السكرية، أو الحليب، أو العصير، مع الوجبات. لكن هذا لا ينطبق على بعض المرضى.

وبالنسبة لمعظم الناس، من غير المحتمل أن يؤثر شرب السوائل مع الوجبات سلباً على الهضم.

ومع ذلك، إذا كنت مصاباً بمرض الارتداد المعدي المريئي، فقد تؤثر السوائل مع الوجبات عليك سلباً، ذلك لأن السوائل تضيف حجماً إلى معدتك، ما قد يزيد من ضغط المعدة عندما تتناول وجبة كبيرة، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى ارتداد حمض المعدة للأشخاص الذين يعانون من ارتجاع المريء.

لذلك، عندما تتخذ قرارك بخصوص شرب السوائل مع الوجبات، اتخذ قرارك تبعاً لنوع الطعام ولحالتك الصحية، فإذا كان تناول السوائل مع طعامك مؤلماً بالنسبة لك، أو يتركك تشعر بالانتفاخ، أو يزيد من سوء ارتجاع المعدة، فالتزم بشرب السوائل قبل أو بين الوجبات.

وخلاف ذلك، لا دليل على أنه يجب عليك تجنب شرب المياه مع الوجبات، بل على العكس ذلك فإن المشروبات التي يتم تناولها قبل أو أثناء الوجبات مباشرة يمكن أن تعزز عملية الهضم، وتؤدي إلى ترطيب مثالي للمعدة، وتجعلك تشعر بالشبع. وفقط تذكّر أن الماء هو الخيار الأكثر صحةً من أي مشروب آخر.



عيد الشكر.. الجانب الآخر من القصة مؤسف بكل المعايير!!



في الخميس الرابع من شهر تشرين الثاني، كل عام، يحتفل الأمريكيون بعيد الشكر في إجازة تستمر ٤ أيام، تجتمع فيها العائلات والأصدقاء حول مائدة، عمادها الديك الرومي المشوي، الذي يتم توزيعه مجاناً على العائلات ذات الدخل المحدود.

تتضمن الوليمة ديكاً أو حتى ديكين، حسب عدد الضيوف، يتم حشوه وشيّه بالفرن لمدة ساعات، كما يتم تقديم الذرة والبطاطا المهروسة التي هي من الخضراوات التي كان يزرعها الأمريكيون الأصليون إلى جانب صلصة التوت البري الحلوة وغيرها من خيرات ما كان يُعرف بـ «الأرض الجديدة».

كما تلقن المدارس تلاميذها في المرحلة الابتدائية أن هذا التقليد يعود إلى هجرة «الحجاج» أو المهاجرين الأوائل، وهم المعارضون الدينيون الإنجليز الذين ساعدوا في إنشاء مستعمرة بليموث في ماساتشوستس الحالية، عام ١٦٢١.

يعود الاحتفال الرسمي بعيد الشكر إلى عام ١٨٦٣، عندما حدد الرئيس إبراهام لينكولن يوم ٢٦ تشرين الثاني موعداً للمناسبة القومية، وكان تحديد هذا الموعد يتم بقرار رئاسي كل عام إلى أن تم تثبيته كعيد قومي في عهد الرئيس فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٢.

مع مرور القرون واختلاف العادات، تحول عيد الشكر إلى مناسبة تجارية أكثر منها دينية أو تاريخية، بأن أضيف إليه يوم «الخميس الأحمر» و«الجمعة السوداء»، ولاحقاً «الإثنين السيبيري»، حين تُقدم المتاجر عروضات وتخفيضات كبيرة جداً على شتى أنواع المنتجات.

ولكن بعيداً عن التطور التجاري للإجازة السنوية التي ينتظرها الأمريكيون بفارغ الصبر، فإن التاريخ الذي أدى إلى الاحتفال بهذا اليوم كعيد قومي أمريكي حافل بالصراعات أكثر من الشكر والتقدير، بعدما راح ضحية «الأرض الجديدة» آلاف مؤلّفة من السكان الأصليين والمستعمرين الجدد في القرن السابع عشر.

ما هو تاريخ عيد الشكر؟

وفق الرواية التاريخية، انطلق الأمريكيون الأصليون الودودون لتعليم المستعمرين القادمين جديداً كيفية البقاء على قيد الحياة في العالم الجديد بشتائه القارس وظروف حياته المختلفة عما اعتادوه في أوروبا، ثم اجتمع الطرفان للاحتفال بوليمة كبيرة، في عام ١٦٢١، شهدت خيرات ومنتجات الأرض الجديدة.

كان من بين الحضور ٩٠ رجلاً على الأقل من قبيلة وامبانواغ، و٥٠، أو نحو ذلك، من ركاب سفينة ماي فلاور التي أقلّت «الحجاج» أو المهاجرين الأوائل.

استمرت الوليمة ٣ أيام، وتضمنت قائمة الطعام لحم الغزال والطيور بأشكالها والذرة والبطاطا الحلوة وغيرها من المنتجات الموسمية.

لكن السلام الذي تلا الوليمة في مستعمرة بليموث لم يدم طويلاً، بل إن القصة الحقيقية وراء هذه العطلة السنوية قاتمة للغاية، حتى إن بعض الأمريكيين يطالبون بإعادة التفكير في كيفية الاحتفال بالعطلة، أو ما إذا كان ينبغي لهم الاحتفال أصلاً!

خلاف على الاحتفال الأول

يختلف المؤرخون الأمريكيون حول تاريخ أول احتفال بعيد الشكر، وإن كانت رواية احتفال الحجاج في مستعمر بليموث هي الأكثر شيوعاً، حين قرر المستوطنون في فيرجينيا الاحتفال بوصولهم بعيد الشكر سنوياً في عام ١٦١٩.

وبينما ينحصر عيد الشكر حالياً بتجمُّع العائلات حول مائدة يتوسطها ديك رومي شهي ليمضوا معاً عطلة نهاية أسبوع طويلة، كان هذا العيد في القرون الماضية مناسبة للاحتفال الديني أكثر من كونه وليمة.

ويحدد آخرون أن عام ١٦٣٧ هو الأصل الحقيقي لعيد الشكر؛ نظراً إلى حقيقة أن حاكم مستعمرة ماساتشوستس، جون وينثروب، أعلن يوماً للاحتفال بالجنود الاستعماريين الذين ذبحوا مئات من رجال ونساء وأطفال قبيلة بيكوت، فيما يُعرف الآن بمدينة صوفي بولاية كونيتيكت!

سلام ينتهي دموياً

أثبت ماساويت ساشيم، أو الزعيم الأعلى من قبيلة وامبانواغ، أنه كان حليفاً حاسماً للمستوطنين الإنجليز في السنوات التي تلت إنشاء بليموث. إذ أقام اتفاقية تجارية حصرية مع الوافدين الجدد وتحالف معهم ضد الفرنسيين والقبائل المحلية الأخرى، لكن هذا التحالف سرعان ما بدأ ينهار.

فقد تدفق آلاف المستعمرين الإنجليز على المنطقة طوال القرن السابع عشر، وبدأت سلطات بليموث تعزز سيطرتها على معظم جوانب حياة قبيلة وامبانواغ الحليفة، وشرعت في اقتطاع مزيد من الأراضي. ومع مرور الوقت توترت العلاقات ودخلت مرحلة اللاعودة. وبعدها، اندلعت الحرب بقيادة ميتاكوميت، المعروف باسم «الملك فيليب»، عندما جرى إعدام العديد من رجال قبيلته بتهمة قتل مترجم وشخص تحول للمسيحية.

رد محاربو وامبانواغ بسلسلة من الغارات، وأعلن اتحاد مستعمرات نيو إنغلاند الحرب التي اتسعت رقعتها لتشمل المستعمرات المجاورة والقبائل التي هبت للنجدة.

نهاية مريرة

تطورت الاشتباكات إلى أن شهدت تهجير القبائل من قراها وتدمير مؤنها الشتوية.

بعد ذلك قطع المستعمرون الإنجليز رأس ابن الرجل الذي أقام واحتفل مع مستعمرة بليموث بعيد الشكر، ثم قُتل من تبقى من حلفائه أو بيعوا كعبيد، وعلق رأس «الملك فيليب» على شوكة وعرض في بليموث لمدة ٢٥ عاماً.

وكانت هذه الحرب أحد الفصول الدامية التي سيخوضها المستعمرون ضد السكان الأصليين، والتي غالباً ما يتم التغاضي عن ذكرها في مستعمرات نيو إنغلاند ونيويورك وفيرجينيا الساحلية، بينما يتم التركيز على تعزيز صورة الحصاد المشترك لخيرات الأرض الجديدة والاحتفال معاً على مائدة.

عيد الاستيلاء لا الشكر

وحالياً، يطالب مؤرخون بإعادة التفكير بطريقة الاحتفال بعيد الشكر، مقترحين أن يسمى «عيد الاستيلاء» أو «ذكرى مجزرة ماساتشوستس». بل إن جمعية «الهنود الأمريكيون المتحدون في نيو إنغلاند» تعتبر هذا اليوم حداداً منذ عام ١٩٧٠، حيث يجتمع الأمريكيون الأصليون في بليموث، وتقام الصلوات والخطب مصحوبة بقرع الطبول قبل أن يسير المشاركون عبر المنطقة التاريخية.

قد يتمحور عيد الشكر حول فكرة التجمع والوجود، لكن الجانب الآخر من القصة الحقيقية مؤسف بكل المعايير.

سر الديك الرومي

في حين أن الديك الرومي هو اليوم الطائر المفضل لعشاء عيد الشكر في جميع أنحاء الولايات المتحدة، لم يكن هذا هو الحال دائماً، فقد قتل الأمريكيون الأصليون ٥ غزلان كهدية للمستعمرين في أول عيد شكر، في عام ١٦٢١، ما يعني أن لحم الغزال كان على الأرجح اللحم الأكثر شعبية.

العفو الرئاسي عن الديك

بدأ هذا التقليد بعدما طلب ابن الرئيس أبراهام لينكولن (تاد) من أبيه أن يعفو عن الديك الرومي الذي تم إحضاره ليتم طهيه في عيد الميلاد. استجاب لينكولن لرغبة ابنه، وتحولت من بعدها هذه العادة إلى تقليد رئاسي.

وبينما يعفو الرئيس الأمريكي عن ديك واحد، تشهد معظم المنازل الأمريكية موائد عشاء حول الديوك التي لم تكن محظوظة كديك البيت الأبيض!

المعكرونة بالفطر مع صلصة البندورة وجبة سهلة ولذيذة ومغذية

إذا كنت لا تحب قضاء وقت طويل في المطبخ، أو ببساطة لا تجيد الطهي، فهذا لا يعني بالضرورة أن تقتصر في وجباتك الغذائية على المعلبات والبيض المقلي، فلا يزال هناك الكثير من خيارات الطعام الشهية والسهلة، والتي لا تتطلب جهداً أو وقتاً أو مهارة كبيرة في التحضير، مثل وجبة المعكرونة بالفطر مع صلصة البندورة



المكونات

كوب من البندورة المقشرة والمهروسة، نصف كيلو فطر طازج مقطع إلى شرائح متوسطة سميكة، نصف رأس بصل مفروم ناعم، ٣ فصوص ثوم مفروم، نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الحار، ٣ ملاعق كبيرة من زيت زيتون، نصف كوب حبق طازج، ١٥٠ غرام معكرونة، وجبنة مبشورة وملح حسب الرغبة

طريقة التحضير

سخّن زيت الزيتون في مقلاة على نار متوسطة الحرارة، ثم أضَف البصل مع قليل من الملح والفلفل الأسود حتى يذبل البصل، عندها أضف الثوم والفلفل الحار، وقبل أن تتحول المكونات إلى اللون البني أضف الفطر وحركه جيداً.

بعد أن يذبل الفطر ويتبخر السائل الذي يفرزه، أضف البندورة مع الاستمرار في التحريك ودعها تغلي قليلاً، وأخيراً أضف الحبق وأطفئ النار بحيث تبقى أوراق الحبق خضراء.

في وعاء منفصل، اغلِ الماء مع إضافة ملعقة زيت وملح، ثم أضف المعكرونة واتركها تغلي حتى تنضج، ثم قم بتصفيتها على وعاء آخر.

الآن أضف المعكرونة إلى الصلصة وقلبها جيداً على نار هادئة، ثم ضعها في طبق التقديم وزينها بالجبن المبشور والحبق.

من المأكولات التقليدية التي لا يمل منها.. هكذا نحضر مربى الباذنجان في المنزل

مربى الباذنجان. قد تبدو الفكرة غريبة خاصة لأولئك الذين لم يعتادوا عليها، ولا يعرفون أن المربيات تصنع أيضاً من أشياء أكثر غرابة، مثل الجوز والكستناء. وفي كل الأحوال، لا يجب تفويت تجربة هذه الحلويات الشعبية التي يتفوق مذاقها على كثير من المربيات الشهيرة الأخرى، وإذا انتابك الفضول حول طعم مربى الباذنجان تستطيع صنع كمية بسيطة في المنزل وفق الخطوات التالية:

مكونات مربى الباذنجان

٢ كيلو باذنجان صغير جداً في الحجم – ملعقة كبيرمن شبة أو رائق الكلس – ٨ أكواب سكر – ٤ أكواب ماء – ملعقة صغيرة عصير الليمون – ٣٠٠ غرام جوز – قرفة وقرنفل وجوز الطيب، حسب الرغبة

طريقة التحضير

الخطوة الأولى: نغسل الباذنجان ونقشره ثم نشق كل باذنجانة من الوسط شقاً طولياً صغيراً.

الخطوة الثانية: ننقع الباذنجان بالماء بعد أن نضيف إليه الشبة أو رائق الكلس، ويترك لمدة ساعتين تقريباً مع تحريكه بشكل مستمر.

الخطوة الثالثة: نغسل الباذنجان من الشبة، ثم نضعه في وعاء على النار، ونسلقه مدة ٥ دقائق

الخطوة الرابعة: نطفئ النار ونترك الباذنجان حتى يبرد ثم نعصر كل باذنجانة على حدة لتصفيتها من الماء ونحشو كل واحدة منها بالقليل من الجوز داخل الشق الطولي الذي أحدثناه في البداية

الخطوة الخامسة: في وعاء منفصل وعلى نار هادئة نخلط ٨ أكواب من السكر و٤ أكواب من الماء لتحضير القطر، ونضيف إليه القليل من القرفة وجوزة الطيب والقرنفل ونتركه حتى يغلي

الخطوة السادسة: نضيف الباذنجان إلى القطر، ونتركه على نار هادئة حتى يصبح لونه ذهبياً، ثم نضيف ملعقة الليمون إليه حتى تغلي قليلاً معه

وأخيراً: نطفئ النار ونترك المربى حتى يبرد ثم نقوم بتعبئته في وعاء جاف محكم الإغلاق.

كلمات متقاطعة

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
		■									1
											2
			■					■			3
	■						■				4
		■			■			■			5
				■			■				6
					■			■			7
		■							■		8
			■							■	9
	■			■							10
				■							11

أفقي:

١- أديب مصري يعتبر من رواد النهضة العربية في مصر خلال حكم محمد علي باشا- إله
٢- ممثلة سورية
٣- والدة- أكسب- تلا
٤- دفن حياً- حلي تلبس في العنق
٥- وضع خلسة- للنفي- شك وريب- قادم /م/
٦- يحب- للتمني- أبكم
٧- مرض صدري- أمر عظيم- يشارك
٨- عاصمة أوروبية- متشابهان
٩- يهددا /م/- (تعب) مبعثرة
١٠- رتبة دينية مسيحية- مصيدة
١١- شلالات شهيرة في جزر (هاواي)- من أشكال القمر

عمودي:

١- ملحمة شعرية للشاعر الإغريقي الشهير (هوميروس)- أساس
٢- مدينة ومرفأ قبرصي- أداة استثناء
٣- الندى- أرشدك ودلك
٤- جهز وأعد- عكس (اليسر)
٥- ممثل مصري
٦- (الأب) مبعثرة- (تدفن) مبعثرة
٧- (لواحظ) مبعثرة- ثلثا (يكيل)
٨- للنداء- يدعم ويؤيد /م/- ثلثا (فهد)
٩- تجدها في (الطاقة)- شقيق /م/- عكس (كرم)
١٠- أحرف متشابهة- أباطيل أو كلام لا فائدة منه
١١- ممثل سوري

الحل السابق

أفقي:

١- عماد حمدي- فل-
٢- أوراسيا- رجب
٣- صعاليك- أقول
٤- يود- رلا
٥- أد- عفاف شعيب
٦- ناهد شريف
٧- حس- بم- (اا)- ها
٨- مديحة كامل
٩- أحلف
١٠- نصفها- يمارس
١١- ين- ديجور- بل

عمودي:

١- عاصي الحلاني
٢- موعود- حصن
٣- أراد- ملف
٤- دال- عابد فهد
٥- حسين فهمي- أي
٦- (م ي ك)- دا /م/- حن
٧- (دا)- (ر ف ش ا ة)- يو
٨- الشراك- مر
٩- يعاقر /م/- إلا
١٠- (ف ج و)- يفهم- رب
١١- لبلاب- الكسل



الكلمة المفقودة

- ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة
- ما أعمى الذي يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك.
- أمرّ ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.
- الحقيقة لا تتجزأ.

م	ل	ق	د	ش	ن	ي	ا	ج	ي	ا	م
ا	ا	ل	هـ	ب	ي	ج	ل	ذ	ع	ل	ا
ا	ي	ب	ي	ة	ا	م	ح	ك	ط	ق	ا
ع	م	ك	ي	ق	ل	م	ز	ر	ي	ل	ن
م	ن	ل	و	ي	ذ	ا	ي	ى	ك	و	ب
ى	ع	ذ	م	ق	ي	و	ن	ن	ا	ب	ل
هـ	هـ	خ	ن	ح	ا	ز	ج	ت	ت	ا	ل
ع	ن	ا	ا	ل	ا	ن	س	م	ا	م	ح
ن	م	ي	ا	ا	ن	ا	ز	ح	ا	ن	ز
م	ن	ل	ي	ف	ة	ح	ر	ف	ل	ا	ن
ع	ح	ا	ر	ف	ا	ة	ي	ن	غ	ا	هـ
ا	ل	ق	ل	ب	ر	م	ا	ي	ذ	ل	ا

المفقودة مؤلفة من ثمانية أحرف مسلسل سوري

الحل السابق: سد العين

الأبــراج

الحمل: من الأفضل أن تتخذ قرارات جريئة تساعدك على تغيير وضعك المهني والعائلي نحو الأفضل وخاصة أن الفرصة المتاحة قد لا تتكرر

عاطفياً: قد تعرف عواطف عميقة وصادقة وتكون سعيداً جداً هذه الفترة لا تدع الماضي يؤثر عليك سلباً وكن متفائلاً وإيجابياً

الثور: تجد الحلول للمشاكل الطارئة بعفوية وخبرة وتكون سيد نفسك ومواقفك وقدراتك. الأيام القادمة تحمل لك دعوات وفرصاً جيدة على صعيد المال والأعمال

عاطفياً: يدخل الحب حياتك من البوابة المهنية وتتعرف على شخص تجد معه القواسم المشتركة والحب السعيد

الجوزاء: تدخل مرحلة جديدة في مجالك العملي وتخوض مشروعاً مهماً قد يغير مجرى حياتك. يمكنك الاعتماد على الأشخاص المتحمسين مثلك

عاطفياً: حياتك العاطفية صافية والحبيب إلى جانبك ويدعمك في النجاح والخطوات الجريئة. لا تتراجع عن أهدافك.

السرطان: كن ذكياً وفاوض عن معرفة ولا تدع مغريات الأمور تقودك إلى خيارات خاطئة. الحالة المادية تعرف الانفراج والتحسّن عما قريب.

عاطفياً: تهدأ الظروف ويبتعد شبح الخلافات عن علاقتك مع الحبيب وتكون الأيام الحالية مناسبة لتهدئة الخواطر وإعادة الأمور إلى نصابها.

الأسد: حاذر من الانجراف وراء شعور الإحباط وأعط أفضل ما لديك في العمل فالأيام القادمة تحمل لك تغييرات جذرية وربما نقلة نوعية أنت تستحقها.

عاطفياً: تكون التأثيرات الفلكية إيجابية ومن الضروري أن تناقش الحبيب أو الشريك في كل الأمور الجوهرية وبعيداً عن التشنج

العذراء: ترتفع المعنويات وتقوى العزيمة ويكون هذا الشهر مناسباً ومشجّعاً على التحرك الواسع فهناك مؤشرات إيجابية على صعيد الربح والمكاسب.

عاطفياً: لا تدع مشاغلك العملية تبعدك عن الشريك والمنزل كثيراً وأعطِ كل شيء حقه. خبر سار في طريقه إليك.

الميزان: رتب جدول أعمالك بشكل يناسب إمكانياتك وقدراتك المادية والجسدية ولا تدخل في مجازفات غير محسوبة النتائج

عاطفياً: أنت على موعد مع حركة غير اعتيادية من النشاطات التي قد تفتح أمامك أبواب التعارف والصداقة والحب.

العقرب: تنجح في عقد صفقة أو توقيع عقد مهم في مجال عملك والحظوظ لصالحك فلا تخشَ الفشل وتابع تقدمك بخطوات واثقة.

عاطفياً: تجد الحب والدفء عند الشريك ويكون إلى جانبك في كل الخطوات والظروف. تطورات مهمة ترسم الابتسامة على وجهك.

القوس: الوقت مناسب لاتخاذ خطوات مهمة على الصعيد المهني والمالي والأخبار السارة سوف تصلك قريباً وما عليك سوى الاستعداد والجهوزية

عاطفياً: حاول إيجاد التوازن بين خصوصياتك وبين متطلبات العائلة والأحباء وقم بالمبادرات الجميلة تجاه من تحب.

الجدي: لا تبني آمالاً على كل الوعود المقدمة إليك واعتمد على نفسك في المشاريع القادمة. انفراج قريب يدعم توجهاتك.

عاطفياً: تدخل مرحلة إيجابية وواعدة وتكون الفرصة مهيأة للوقوع في الحب وقد تفكر بالزواج إذا كنت عازباً.

الدلو: تتميز بالنشاط والحيوية والانفتاح على أفكار قد تسمح لك بخوض المشاريع والتجارب المثمرة. لا تتهرب من بعض الواجبات حتى لا تقع في مواقف محرجة.

عاطفياً: تستيقظ مشاعر كانت تنام داخلك وقد تقوم بمبادرة جميلة سيكون لها صدى كبير عند الطرف الآخر.

الحوت: أنت قادر على تحقيق الأمنيات والأهداف المنشودة فلا تنتظر كثيراً وقم بالخطوات الشجاعة والواثقة مستعيناً بطاقتك وحيويتك الكبيرة.

عاطفياً: قد يطرق باب قلبك حب قديم وتعرف فترةمن العواطف الهادئة والصادقة دون ضجيج

البعث
الأسبوعية

محطة درعا.. من هنا مر قطار الحجاز!!



"البعث الأسبوعية" ـ أحمد العمار:

عربات توقفت هنا وأخرى هناك، لكنها تعايشت جميعا مع الصدأ والإهمال، وخطوط حديد لم تعد تنتسب لحاضرنا، بل حفرت قضبانها وصفائحها في تاريخ بعيد، فيما ظلت مباني المحطة البازلتية، ذوات الأسقف القرميدية الجميلة، شواهد حية على أهمية المكان، الذي عجّ ذات يوم بالركاب والبضائع.

كانت محطة القطار في درعا، بداية القرن الفائت، البوابة السككية الوحيدة جنوبا نحو الأردن ودول الخليج العربية، وشمالا نحو دمشق، إذ ربط أول خط حديدي عرفته البلاد إسطنبول بالحجاز، حيث الديار المقدسة، مرورا بالأردن، وتفرعا نحو فلسطين؛ وعبر هذا الربط السككي دون غيره، انتقل الحجيج من آسيا إلى تلك الديار، مختصرين زمن الرحلة من أربعين يوما إلى خمسة أيام.

بدأ العمل، فيما عرفت يومها بسكة حديد الحجاز، أو خط حديد الحجاز، أو الخط الحديدي الحجازي، عام ١٩٠٠، وافتتح الخط بعد ثماني سنوات وكانت حركة النقل نشطة جدا، سيما بين دمشق والمدينة المنورة، حيث تمتد الرحلة بطول ١٣٢٠ كم، عبر محطات: دمشق، درعا، عمان، معان، تبوك، مدائن صالح، المدينة المنورة.

لم يدم فرح بلدان المنطقة بهذا الخط الذي ربط الدول واختصر المسافات طويلا، فقد دمرته الحرب الأولى، عام ١٩١٦، وبإيعاز من الإنكليز، الذين عملوا - كعادتهم - جاهدين على وأد أي عمل، أو حتى حلم، يجمع هذا الشعب وهكذا لم تقم لهذا الخط - الأسطورة، منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، قائمة، بل باتت مكوناته ومحطاته أقرب للتحف والآثار منها لوسائل النقل!

يقول سكان محليون إنهم سمعوا، عبر الآباء والأجداد، عن الدور الذي لعبته محطة القطار في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجنوب السوري بشكل عام، ولمدينة درعا وما جاورها على وجه الخصوص؛ ويكفي، للدلالة على ذلك، أنها كانت سببا في نشوء حي كبير على طرف المدينة "درعا البلد" الشمالي، عُرف بحي "المحطة"، ثم تفرع إلى عديد الأحياء التي هي اليوم أكبر من المدينة الأساسية، بل أصبحت مقرا إداريا وتنظيميا للمحافظة.

هكذا، سبقت المحطة نشوء الحي الذي توزعت بيوته، بداية الأمر، في مناطق وشوارع قريبة، لأن سكانه هم من الموظفين العاملين في تسيير شؤون القطار، وتأمين المسافرين، وشحن البضائع وتفريغها، إضافة لعناصر الشرطة "الدرك"، والحماية والحراسة والجمارك وغيرهم.

يقول رجل سبعيني من أهالي الحي، نقلا عن والده المتوفى، إن ذاكرة سكان المدينة ارتبطت بصافرات القطار الذي كان وصوله إلى محطته مفرحا، فهو يحمل لهم أخبارا من مناطق بعيدة، ومن العاصمة دمشق على وجه التحديد؛ فمعه، وبه، قرأوا الصحف التي غطت أخبار الحروب والأزمات، وتعاقب الحكومات السورية، ونشرت القرارات والمراسيم الجديدة، في زمن كانت وسائل الإعلام المقروءة سيدة الموقف، كما حمل القطار رسائل الأحباب والأصدقاء، في وقت حمل منتجات جديدة ليست معروفة لديهم، إذ انسابت السلع من آسيا والأناضول وشمال بلاد الشام والحجاز، وفي الاتجاهين، ليكون الناس القريبون من محطات القطار المختلفة هم من أول من يعرفها ويجربها.

اليوم، لا شيء في محطة درعا يوحي للزائر بأنه يقف أمام خط حديدي، فالمشهد البانورامي أقرب للفانتازيا.. للتراث للتاريخ، وأبعد ما يكون عن نقل الركاب والبضائع.. لقد توقف قلب الخط، وبُحت حنجرة قطاره، فلا هدير لمحركاته وعرباته التي أكلها الصدأ وتقادم الأيام، لتبقى شاهدا يؤرخ حقبة حضارية عرفت فيها مدن الشرق العربي - ومنها درعا - واحدة من أقدم خطوط الحديد في العالم، وليدخل الخط الحديدي الحجازي كتب وقصص الأطفال كحكاية، قد تصبح ذات يوم - مع الأسف - أقرب لحكايا "ألف ليلة وليلة"، و"السندباد"، و"أليس في بلاد العجائب"..!!

ournamar@yahoo.com

صناعة القش في السويداء



"البعث الأسبوعية" ـ ريا الهادي

تحاول السيدة فايزة فيصل (٤٥ عاما)، من بلدة شقا بريف السويداء الشمالي الشرقي، ترسيخ مهنة صناعة القش التراثية التي ورثتها عن أجدادها، لتقدمها للأجيال القادمة بأساليب تقليدية تحمل في طياتها عبق الماضي، ساعية من خلال هذه المهنة أن تأخذنا إلى عوالم تلك الحقبة التاريخية العطرة بما تحمله من مفردات تراثية.

وفي زمن ليس ببعيد كانت تلك الأدوات التي استخدمها أجدادنا في حياتهم اليومية موجودة ومتألقة ولا يكاد يخلو منزل منها، ولكن مع تقدم الصناعات الآلية ودخولها كمنافس في الأسواق، راحت تلك الصناعات اليدوية تخرج رويدا رويدا من الأسواق ولتصبح على الرف كما يقال، ولكن السيدة فايزة لم تسمح لمهنة صناع القش أن تبقى بعيدة عن ذاكرة الأجيال لهذا أخذت على عاتقها إعادتها إلى الواجهة حتى يتعرف عليها الجيل المعاصر لا أن تبقى في ذاكرة من عاصرها فقط.

وعبرت فيصل لـ "البعث الأسبوعية" عن شغفها بهذه المهنة التي ورثتها عن أمها التي كانت تصنع الأطباق المصنوعة من القش للاستخدام المنزلي لعدم توفر البديل في ذلك الوقت، وبأدوات من البيئة التي تعيش بها، ولم تخفي ما ينتابها من حزن شديد لغياب هذه المهنة عن الساحة رغم أهميتها كتراث يجب المحافظة عليه.

وتابعت تقول، وهي تقف بين أطباق القش التي صنعتها يداها بعناية فائقة خلال مشاركتها بأحد المعارض في مدينة السويداء "في السابق كان الأجداد يصنعون الأدوات المصنوعة من القش لحاجاتهم الماسة لها في حياتهم اليومية، لكن اليوم حاولت أن أنقل هذا التراث بطريقة فيها روح الماضي وعبقه، وبنفس الوقت تحمل قيم جمالية تتناسب مع تطور الحياة".

وروت فيصل كيفية تعلمها لهذه المهنة التقليدية من أمها التي توفيت منذ فترة من الزمن، والأدوات البدائية التي صنعتها لم تكن جيدة في البداية، مؤكدة أن إصرارها على إتقان هذه المهنة هو الذي دفعها إلى الإكمال بها، لتكون ذاكرة تراثية تنقلها للأجيال الصاعدة وقالت: "في سن العاشرة من عمري كنت أراقب أمي في ليالي الشتاء الباردة، وهي تصنع الأطباق، وبعض الأدوات التي يحتاجها البيت، وأمضي ساعات طويلة وأنا أجلس بقربها كي أتعلم منها كيفية تشكيل الرسومات على الأطباق، وآلية تكوينها، إلى أن سمحت أمي لي بصناعة طبق صغير.

وأشارت إلى أنها عمدت إلى زراعة القمح في أرضها هذا العام، وقامت باستخدام عيدان القش التي تشكل العصب الرئيسي لهذه الصناعة، مبينة أن صناعة القش تمر بعدة مراحل تبدأ من الحصول على عيدان القمح الطويلة، ثم تقوم بإزالة السنابل منها وبعدها تقوم بصباغة قسم منها بالألوان بطريقة بدائية كما كان الأجداد يفعلون، ومن ثم تقوم باختيار الشكل الذي تنوي صنعه والرسمة التي ستضعها على تلك التحفة أو تلك لتخرج بعد فترة من الوقت عملا فنيا يحمل الكثير من الجمال.

من جانبها، عبرت أمل منصور من مديرية البيئة في السويداء عن إعجابها بما صنعته فايزة فيصل من أدوات التي تعد أدوات تراثية وتشكل رموز ومفردات تراثية من المحافظة، معتبرة أ الأعمال التي قدمتها فايزة هي أعمال متقنة ويكفي أنها إنتاج بيئي كامل، فهي تزرع القمح وتصنع منه القش بطريقة فنية مبتكرة